

مقرر

أدب الأطفال

الفرقة الثانية أساسي... لغة عربية

أستاذ المقرر

د/ بخيته حامد إبراهيم

مدرس الأدب والنقد – كلية الآداب بقنا

العام الجامعي

2022م / 2023

بيانات أساسية

الكلية: التربية

الفرقة: الثانية أساسي

التخصص: لغة عربية

عدد الصفحات: 200

محاضرات

في أدب الأطفال

أحمد سويلم

وإنما أولادنا بيننا

أكبادنا تمشى على الأرض

لو مرّت الريح على بعضهم

لامتعت عيني عن الغمضِ

(حطّان بن المُعلّى)

ملاحظة أولى

في دراسته (في أدب الأطفال) يقرر الدكتور على الحيدى أن عالم الأدب المكتوب للأطفال لم يوجد إلا في العشرينات من هذا القرن..

ومنذ سنوات بالتحديد في الخامس عشر من سبتمبر عام 1978. طالعنا صفحة

الجمعة الأدبية بجريدة الأهرام بموضوع حول أدب الأطفال وحواديت الطفولة¹ ..

وقد اتكأ على مقولة الدكتور الحيدى وأخذ يفرّج منها مقولات أخرى مثل:

* شوقى أول شاعر في العربية يكتب للأطفال.

* رفاة الطهطاوى أول من أدخل أدب الأطفال إلى المدارس.

ثم يناقض الكاتب نفسه مرة أخرى في نفس الموضوع فيقول: إن محمد الهراوى

يعتبر أول من تخصص في الكتابة للأطفال .. وأيضًا: ويعتبر كامل كيلانى الأب

الشرعى لأدب الأطفال.. إلى غير ذلك من الآراء التى جعلتني أتوقف أمامها

مدفوعًا إلى البحث وراء الحقيقة في هذا المجال..

وأعترف أنني لا أختلف على أن "أحمد شوقى" شاعر فذّ أضاف إلى التراث

- كاتب هذا الموضوع هو الأستاذ فتحي سلامة .. وانظر أيضا (في أدب الأطفال) د. على الحيدى - مكتبة الأنجلو، ص.

المعاصر ما عجز عنه الكثيرون.. لكنن الحب وحده لا يكفى لتقدير عبقرية إنسان أو فنان.. وما دام يسوقنا الولاء والحب وحدهما فى طريق الحقيقة الشائك.. فلن تكتمل ملامح الصورة كما نود.. وإنما سوف تكون حقيقة يشوبها النقصان.. نتحمل وحدنا وزر طرحها على ذهن العام..

وما يشغلنى فى هذا المجال هو جانب الشعر.. لذا رأيتة موضوعًا يستحق البحث والتدقيق.. ويستحق منى المحاولة المخلصة للوصول إلى الحقيقة التى تعطى الناس أحجامهم وأقدارهم دون تزيد أو نقصان..

وكان لابد أن أتريث أمام جنور الأدب الذى كُتب للأطفال منذ حاول الإنسان القديم أن يأخذ أبناءه بالتربية والتهديب والتنقيف.. وماذا عن الشعر فى هذا الأدب.. وكيف كان يُنظر إليه حينما يوجهه المعلم أو الأب أو الحكيم إلى الأبناء.. ووجدت شعر الأطفال فى الحضارات القديمة . خاصة الحضارة المصرية . له أهمية خاصة تكاد تجيء فى مقدمة الوسائط الأدبية فى مجال الأدب.

ثم تناولت شعر الأطفال عند العرب.. ونقّبت عن بعض الصفحات الغائبة من أشعار الأطفال فى التراث: وهى قليلة نادرة.. ثم ناقشت قضيتى قلة النماذج فى التراث العربى، وما إذا كان يوجد شعر موجه حقيقى للأطفال.. وحاولت أن أفسر ذلك على ضوء كثير من الحقائق والآراء التى طرحتها الساحة العربية.. وصاحبت المعاصرين من الشعراء الذين أخلصوا فى الكتابة للأطفال..

وحاولت استخلاص أسباب هذا الاهتمام ودوافعه.. ابتداء بالشاعر محمد عثمان جلال ومرورًا بأحمد شوقى والهراوى والكيلانى وغيرهم.. وسقت بعض التجارب المتميزة فى الوطن العربى - ومنه فى مصر - فى إطار الحديث عن محاولات الكتابة بالشعر الحديث - أو الحر.

وفى خاتمة الدراسة وجدنتى أدعو إلى ما يسمى (بديوان الطفل العربى) الذى ينبغى أن يحتشد له.. الشعراء على امتداد الوطن الكبير ليكون كأننا حقيقياً يسعد به الأطفال - أجيال الغد.

وكننت قد اشتركت بدراسة موجزة عنوانها - ماذا كتب الشعراء للأطفال - فى أكثر من حلقة دراسية بمناسبة عام الطفل الدولى.. وكانت الدراسة الوحيدة التى تناولت شعر الأطفال بين شتى الدراسات وأهم هذه الحلقات:

* الحلقة الدراسية التدريبية فى مجال الطفولة وعام الطفل الدولى التى عقدت فى

معهد التدريب الإذاعى بالقاهرة من أكتوبر 1978 حتى يناير 1979 وقمت

بتدريسها لطلبة الحلقة من مقدمى برامج الطفل ومعديةا ومخرجيها بالإذاعة

والتليفزيون..

* الحلقة الإقليمية حول مشكلات إنتاج وتوزيع الكتاب فى العالم العربى وخاصة

كتاب الطفل، وقد عقدت فى مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة من 29

يناير حتى 3 فبراير 1979 واشتركت فيها عشر دول عربية.

وأخيراً..

فيسعدنى أن أتقدم إلى القارئ العزيز والمهتمين بالطفولة بهذه المحاولة.. متمنياً

أن تضيف جديداً إلى المكتبة العربية فى هذا الموضوع.. وتحض الكثرين-

فيما بعد -على تناول أبعاد أخرى لهذه القضية.

والله ولى التوفيق..

أحمد سويلم

مدخل عام إلى أدب الأطفال

الأدب:

الأدب قديم قدم الإنسان.. ونعنى به فن الإبانة عن النفس أو هو ذلك التعبير المتجدد عن مشاعر الإنسان فى مواجهة العالم من حوله.

وتتردد كلمة (أدب) فى حياتنا اليومية لتشمل تلك الوسائل الفنية المختلفة التى تقوم على التعبير بالكلمة عن الفكر والوجدان.. ومن ثم يختلف الأدب عن العلم- مثلاً فى أن العلم قد لا يعبر عن الوجدان بقدر ما يهتم بالحقائق الماثلة والواقع النظري أو العلمي.

وحول كلمة أدب يختلف المؤرخون.

فهذا ابن منظور يقول فى لسانه:

الأدب..الذى يتأدب به الأديب من الناس.. سُمى أدباً لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح.. والأدب: أدب النفس والدرس.. وأدبه: علمه "أدبنى ربي فأحسن تأديبى" الحديث..

ويعرفه الجرجانى الحنفي فى مصنّفه (التعريفات) هكذا:

الأدب: عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ.

وآداب الحديث:صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان كيفية المناظرة وشرائطها صيانة له عن الخبط فى البحث والزاماً للخصم وإفحامه.

أدب القاضى: هو التزامه لما ندب إليه الشرع من بسط العدل ورفع الظلم وترك الميل.

أما ابن خلدون فيقول عن علم الأدب:

. إنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته.. وهى الإجابة فى فنِّ المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم...

ثم يقول: إن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهى: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها.

وقد استخدمت الكلمة على مدى تاريخ الأدب استخدامات كثيرة منها أنها تعنى: الداعى إلى الطعام، ومنها المأدبة، بمعنى الطعام الذى يدعى إليه الناس، لكن الحديث النبوى كما رأينا يضيف إليها معنى تهذيبيًا صريحًا "أَدَّبَنِي رَبِّي.." على حين يستخدمها مخضرم يسمى سهم بن حنظلة الغنوى بنفس المعنى إذ يقول:

لا يمنع الناس منى ما أردت ولا

أعطيهمو ما أرادوا حسن ذا أدبا

وهذا المعنى الخلقى لم ينقطع فى أي عصر عربي.. فقد قال عمر ابن الخطاب:

احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك..

وسمى الماوردى كتابًا له: أدب الدنيا والدين..

ولو أردنا أن نسترسل في مثل تلك التفسيرات لدى العرب لمألنا صفحات وصفحات إذ استطاع العرب أن يحشدوا تحت كلمة (أدب) كثيرًا من معانى الحياة.. تتصل بالسلوكيات وبالأخلاق والفن والإبداع جميعًا.

بل عنى المستشرقون كذلك في تفسير كلمة أدب.. وكانوا يقترحون أحياناً من التفسيرات العربية.. ويتعدون في القليل النادر.. رغبة في توسيع مدلولاتها ومنهم (نلينو) الذى ذهب إلى أنها تعنى؛ سيرة الآباء والسنة والعادة.

ويرى الأب أنستاس مارى الكرملى أن الأدب صنعة الأديب..وهى واردة فى اللغة اليونانية بهذا اللفظ والمعنى.

ومن ثم فإن الأدب قد يشمل كل ألوان المعرفة.. وقد يضيق ليقف عند الكلام الجيد من الشعر والنثر.. وقد لوحظ مثل ذلك فى الفكر الغربى مما اختلف حوله الكتاب.. وفى هذا الصدد يقول:أمرسن الأمريكى: الأدب سجل لخير الأفكار.²

وهو تعريف للأدب بمعناه العام.. على حين يقول: سانت بيف الناقد الفرنسى:

الأدب هو الأسلوب الجميل الذى يصور الحقائق الإنسانية.. وهذا هو الأدب فى إطار أضيق قليلاً.

أما أداة الأدب فلا خلاف على أنها اللغة.. والتي تحمل الأفكار والمعانى والصور إلى القارئ وبهذه النظرة لا يختلف الأدب الذى يوجه إلى الكبار عن ذلك الأدب الذى يوجه إلى الصغار إلا فى الموضوع الذى يتصدى له كل منهما بحيث يلائم ذهن القارئ واستعداده للاستيعاب وكذلك فى الأسلوب الذى يحمل هذه الأفكار إلى الملتقى..

- لا شك أن جدلاً كبيراً حول مفاهيم الأدب يتناثر فى كثير من كتب النقد.. لكننا نحاول هنا عرض آراء تتعلق بغرض هذه الدراسة قدر المستطاع.

وحيثما ننظر إلى حركة التاريخ العربي ونظرتها إلى الأدب.. نجد كثيرًا من التطور لمضمونها على مر العصور حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن..
ففي العصر الأموي مثلاً.. دلت الكلمة على الشعر والنثر وما يتصل بهما من الشرح والأخبار والأنساب.. ويدل على هذا قول معاوية بن أبي سفيان "اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر أدبكم".
كما أطلق على الملمين بهذه الثقافة . أدباء . ويدل على هذا قول شاعر في مدح الخوارج:

أدباء إما جئتهم خطباءً

ضمناء كل كتيبة جرار

أما العصر العباسي .. فقد جعل الأدب يشمل إلى جانب الشعر والنثر .. النحو والصرف واللغة والنقد.. وألفت كتب كثيرة بهذا المعنى.
ثم تشمل الكلمة علومًا أخرى وثقافات متعددة فيما بعد.. يجمعها الشاعر القاسم إسماعيل بن أحمد الشجري من شعراء القرن الرابع في قوله:

إن شئت تعلم في الآداب منزلتي وأنى قد عدانى العز والنعم

فالطرف والسيف والأوهاق تشهد لى والعود والنرد والشطرنج والقلم³

فإذا ما وصلنا إلى العصر الحديث نجده وقد تميز باتساع المعارف والثقافات.. وكان..لابد أن تضيق كلمة الأدب وتتخصص لتدل على علوم اللغة العربية

- الأوهاق: جمع وهق، وهو الحبل.

وحدها.. بل نجدها قد اقتصرت على الجيد من الشعر والنثر. كما كانت دلالتها
فى العصر الأموى.

ولا أعتقد أننا نحيد كثيراً عن الحق حينما نعرّف الأدب اليوم . بأنه التعبير المبدع
الجميل عن الفكر والوجدان: شعراً كان أم نثرًا..

وقد تعددت اليوم موضوعات الأدب وفروعه بل اتصلت بها عمليات التذوق والنقد
والرأى.. لكن أبرز فرعين فى العصر الحديث هما: الشعر والقصة.. ويبدو أن
الألوان الأخرى قد تفرعت عنهما واتصلت بهما بجذور قوية.. مثل المسرحية
والمقامة والأنشودة.. والمقالة والخاطرة وغيرها من ألوان الإبداع..

أديان أم أدب واحد:

حينما نمعن النظر اليوم إلى ساحة الأدب نجدها وقد انقسمت إلى جانبيين كبيرين:
أدب للكبار.. وأدب للصغار⁴.

صحيح أن الجانب الذي يشغله أدب الكبار يشمل مساحة أكبر بكثير من تلك التي يشغلها أدب الصغار مما يجعلنا أمام تساؤل يتعلق بتعليل هذه الحالة من الإبداع، خاصة أن الطفل يشكل اللبنة الأولى في أي بناء إنساني.. وأن الثقافة . كما هو معروف . تبدأ بالطفل.

أما الأدب الذي يوجه إلى الكبار.. فهو ببساطة ذلك التراث الأكبر من إبداع البشرية منذ أقدم حقب التاريخ.

أما أدب الصغار فإن جدلاً كبيراً يثور حول نشأته وطبيعته..وما إذا كان يستحق أن تكون له مساحته الخاصة في الأدب الإنساني.. أم لا.

وقد توقف الباحثون أمام تراث الحكم والمواعظ التعليمية لدى الحضارات القديمة.. وما إذا كان من الممكن أن تضاف بارتياح إلى باب الأدب أم لا.

ويذكر التاريخ تلك الكتب التي كتبت للصغار باللاتينية في القرن السابع .. وكان هدفها تعليم الدين وأوليات الكتابة.

ومن قبل ذلك بمئات السنين.. وجدت رسائل الآباء إلى الأبناء.. كما وجدت تعاليم ونصائح الحكماء للأبناء.. والوصايا الدينية والتهديبية..وتقاسم التعبير عنها الشعر والنثر ولعبت دوراً خطيراً في تكوين شخصية الصغير.

- هذا يعنى بالطبع أن الأدب المعاصر – خاصة في القرن العشرين- قد فصل تماماً بين اللونين .. وأصبح لكل منهما كتابه ومفكروه!

ومن أشهر هذه المواعظ والوصايا: مواعظ لقمان . وإيسوب . وبتاح حوتب .

وإيبور وغيرها مما يطلق عليه . الأدب التهذيبي أو التعليمي .

وإلى جانب ذلك اللون من الكتابة.. وجدنا القصة الخرافية والحكايات الخيالية

المتنوعة كما وجدنا الأناشيد والأغاني وبعضها صاحب الألعاب التي يمارسها

الأطفال على إيقاعات الموسيقى البسيطة.

وبالرغم من أن كثيراً من نظريات الأدب الحديثة تحاول أن تُخرج من ميدان الأدب

تلك الكتابات التهذيبيّة أو الوعظية.. غير أنه من الظلم أن تقوّم تلك الكتابات القديمة

بمقاييس العصر الحاضر التي تميل إلى التخصص الدقيق.

إن ابن الأنباري مثلاً في (نزهة الألبا في طبقات الأدباء) يترجم للنحاة واللغويين

والشعراء والكتاب.. وبهذا يُدخل العلوم اللغوية تحت مادة (أدب) بل أطلق

الكثيرون الزدب على التأليف عامة في أي فرع من فروع الكتابة.. ومنهم ياقوت

الحموي في (معجم الأدباء) على حين أطلقه بعضهم على النظم والثقافات

الضرورية لفئة من المجتمع، كما في كتب أدب الكُتّاب والوزراء والقضاة وغيرها.

ومن ثم يمكن أن نستخلص دالتين للأدب عند القدماء عامة: معنى عام يدل على

الإنتاج العقلي عامة مدوناً في كتب . ومعنى خاص يدل على الكلام الجيد الذي

يحدث في متلقيه لذة فنية إلى جانب المعنى الخلفي.

ولهذا فإننا نميل عن يقين إلى الرأي النّى يعتبر تراث الحكم والأمثال والمواعظ

القديمة جزءاً من الإنتاج الأدبي لهذه الشعوب سواء كتبت للكبار أم للصغار.. وسواء

كتبت هذه الكتابات شعراً أم نثرًا.. وسواء حفظها الناس أم التزموها في سلوكهم

وحياتهم⁵.

ونظرًا لأن علم التربية بأسسه الحديثة قد أرسى نظرياته فى التربية والتسليم على ضوء العصر.. فإن من الطبيعى أن ينظر إلى ما أنتجته العصور السالفة على أنه أدب (تلقائى) يعوزه الإطار أو الشكل أحيانًا.. بما يتناسب مع المتلقى كبيرًا كان أم صغيرًا.. على ضوء قدراته وعواطفه وغرائزه الخاصة.

ولهذا نقد الكثيرون نظرة القدماء إلى الطفل وأدبه.. واتهموهم بأنهم . وإن اعتبروا الطفل رجلاً صغيراً . إلا أنهم لم يلتفتوا إلى قدراته وطبيعته وتكوينه وأن له عالمًا خاصًا يختلف حتما . عن عالم الكبار .. ويدلل هؤلاء على ذلك.. بأن اهتمام القدماء قد انصرف إلى الحكم والمواعظ والتهديب أكثر من الجوانب الأخرى فى الأدب والمعرفة.. وأنهم إذا تجاوزوا ذلك يلجئون إلى الخرافات والحكايات يستمدون منها أيضًا نزوعها إلى فرض القوانين الأخلاقية وعرض العظات الإرشادية الثقيلة.

ويضيف العلماء المحدثون كذلك أن تلك الاتجاهات القديمة . وهى تسعى إلى تكوين الأبناء بما يجعلهم يشابهون الكبار فى كل شىء . إنما تترجم ما كانت تدعو به العقائد السائدة باعتبار الصغير جزءا من المجتمع المنتج وأنه يدخل . طبيعياً . فى إطار العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والدينية للأسر أو القبيلة أو العشيرة أو الطبقة الاجتماعية.. ويلتحم مع قضاياها كتفا بكتف.

وتلك النظرة بلا شك تنطوى على كثير من الصدق والتشخيص الدقيق.. إذا وضعناها خلال منظور عصرها.. ولم ننظر إليها من خلال عصرنا الذى تعقدت مفاهيمه

⁵- قد يساند يقينى هذا كثير من تجارب الإبداع المعاصرة التى تلجأ كثيرا إلى التقريرية .. لكن ما أود إيضاحه أن المباشرة هذه كانت صالحة لظروف المجتمع القديم .. لكنها اليوم لا يمكن أن تقدم إلا بصورة مختلفة تحترم عقلية الطفل المعاصر الذى يشارك فى ظنى عالمه فى صعوبة التسليم بالمواعظ والحكمة المجردة.

وتطورت أساليب حياته.. بل تكاد . هذه النظرة تشي لنا بأن القدماء حاولوا . قدر استاعتهم . أن يقتحموا ميدان التربية بما أتاح لهم تصورهم من الأدب .. والتهديب والعلاقات المفيدة.

ولهذا فإننا نخلص . بعد هذا العرض السريع إلى اعتبار ما أبدعه الأقدمون لصغارهم من أدب.. يناسب طبيعة العصر الذى أبدع فيه.. ويتلاءم مع طبيعة العلاقات الاجتماعية ونظرة المجتمع إلى هذا الكائن الصغير الذى هو عضو منتج على قدر طاقته مثله مثل الكبير..

وسوف نتعرض لهذا الجانب بالتفصيل ونحن نندرس أدب الصغار فى مصر القديمة.. وأيضًا ونحن نطوف مع التراث العربى القديم.

الطباعة وأدب الصغار:

ويمثل اختراع المطبعة فتحًا كبيرًا فى انتشار الكتاب والوسائل التعليمية بصفة عامة.. بل أثر ذلك على كثير من جوانب الحياة المعاصرة.. لقد وجدنا أنفسنا أمام نظرية جديدة فى التربية . يبدو أنها.. انبهرت كثيرًا باختراع المطبعة فقدمت لها ما رأته مفتاحًا مناسبًا لعالم الطفل.. ودعت إلى سرعة إخراج كتب كثيرة له تستمد مادتها من الخرافات وأساطير والحكم والمواعظ كذلك.. ثم يتبلور هذا الأدب فى الغرب فى القرن السابع عشر ليستمد مقوماته من الحكايات الشعبية الشائعة يلعب فيها البطولة . الجن والشياطين والعمالقة والسحرة . وكانت أكثر هذه الحكايات قاسية تهدد الطفل بالعقاب والثواب . أى تدخل أيضًا ضمن الوعظ والتهديب ولكن بصورة

أعنف. وحينما نمعن النظر إلى هذه الصورة نجدها انعكاسًا حقيقيًا لما ساد المجتمع في ذلك العصر.. حيث كانت السلطة . مهما صغرت أو كبرت . تمثل مظهرًا من مظاهر القوة والسيطرة.. وكان لا بد لرجال التربية أن يؤكدوا ذلك حتى لو كانت موجهة إلى هذا الكائن الصغير الذى يفتح عينيه على الحياة.. ومن ثم مثلت له مضامين الخرافات والقوى الخارقة . تلك السلطة المسيطرة التى يمكن أن تمنح الثواب وتقرض العقاب دون تردد.. وبحرية تامة وبحق مستمد من طبيعة وجودها.. وعلى الطفل . والكبير أيضًا . أن ينظر إلى أية سلطة نظرة الخنوع والطاعة والخوف كذلك. ثم يشهد أدب الأطفال فى منتصف القرن الثامن عشر نهضة أخرى فى إخراج الكتب.. ويعد المؤلف الناشر جون نيوبرى (1713 . 1767) أول من أصدر كتبًا للأطفال مصورة على ورق ممتاز فى إنجلترا.. حتى أنه فى عام 1922تقديرًا لجهوده . أنشئت مدلاة تحمل اسم نيوبرى لتمنح سنويًا لأحسن كتاب من كتب الأطفال يؤلفه أمريكى.. وفى سنوات ذلك القرن كذلك ينادى الفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو (1712 . 1778) بأراء جديدة فى التربية فى إطار (الإنسان الطبيعي).. فالإنسان لديه لا هو بالخير ولا هو بالشرير، وهو يؤمن بالسلطة النابعة من الإرادة المشتركة التى تعبر عن الصالح المشترك.. ويرى روسو فى التربية أن نترك للطفل فرصة تنمية مواهبه الطبيعية دون أن تعطلها مؤثرات الحضارة الفاسدة فالتربية تتبع من داخل النفس ولا تأتى . فقط . من قراءة الكتب.. وهدف التربية الأسمى هو أن يتعلم الإنسان كيف يعيش.. وكيف يمارس

حياته بحرية كاملة.

ويشهد القرن التاسع عشر اهتمامًا آخر بكتب الأطفال على يد الشاعر والروائي الدانماركي هانز كريستيان أندرسون (1805 . 1875) . الذى عاندته الحياة طويلاً .. ولاقى صنوفًا من الفشل باحثًا عن عمل .. إلى أن واتاه الحظ فبدأ ينشر منذ عام 1835 رواياته .. كما نشر أول مجموعة من الحكايات الخرافية أظهر فيها إمكاناته الفنية فى مجال الطفل .. وأشهر حكاياته . البطة القبيحة، عسكري الصفيح الشجاع، عروس البحر الصغير، الحذاء الأحمر .

وربما ساعدت ظروف أندرسون على انتشار هذه الأعمال واعتباره واحدًا من رواد أدب الطفل. إلا أننا كذلك ينبغي أن ننظر إلى هذه الأعمال فى إطار تعاليم روسو . الذى دعا إليها فى عصره . فنجده يحاول الاقتراب منها لكن بشيء من التحفظ.. ولا يعنى هذا أننا ننكر على أندرسون ريادته فى زمان تتصارع فيه القوى السياسية والاجتماعية . وإن كان سبقه إليها وبجراً أكثر جون نيوبرى . ومنذ ذلك القرن .. والاهتمام بالطفل وأدبه يتخذ أساليب متعددة.. بقصد الوصول إلى عقلية الصغير .. وإذكاء روح المغامرة والثقة بالنفس لديه . وكما هى الحال فى أدب الكبار .. ينقسم أدب الأطفال إلى ألوان مختلفة: القصة . الشعر . المسرحية . الكتابة الصحفية . الكتابة الوصفية والرحلات . الكتابة التاريخية وسير الأبطال .. إلى غير ذلك من ألوان الكتابة .

أما أهداف أدب الأطفال:

فهى لا تقع تحت حصر .. وهى تتراوح بين:

- الأهداف الثقافية.
- تربية الخيال والذوق الأدبي.
- التعليم والتهديب والأخلاق .
- الترفيه والمتعة وغيرها.

الطفل والأدب:

ربما نستطيع بقليل من الجهد التعرف على ميول ورغبات الكبير .. ومن ثم يمكن الكاتب أن يبدع أدبه للكبار دون أن يتحسس طريقة إليهم كثيراً.

لكن الأمر يختلف حينما نقرب من عالم الطفل .. فى محاولة للتعرف على رغباته وميوله وتقديم الأدب الملائم له .. وقد نعود من كثير من رحلاتنا تلك بالخيبة والإخفاق .. ولعل هذا يفسر ذلك الجدل .. الدائم الذى يثور هنا وهناك عن: ماذا نقدم للأطفال .. ومن هو الطفل؟ وكيف يتلقى من الكبير ما يقنعه ويمتعه؟.

وهذه الصعوبة نفسها هى التى دعت علماء النفس والتربية إلى اقتحام هذا العالم المجهول ومحاولة تحليل أساليب التعبير التى يعبرون بها لكى يتعرفوا . عن يقين غير قليل . على أسرار هذا العالم.

وينتهى علماء النفس والتربية إلى نتائج مرضية إلى حد كبير . فهم يحددون الأطفال بأنهم الذين لم يتجاوزوا السادسة عشرة من أعمارهم .. وأنهم كذلك يحملون ميولاً

واتجاهات وصفات خاصة متميزة ينبغي على من يكتب لهم أن يتفهمها خاصة أن الأدب يمثل الجسر الأول الواصل بين الكبير والصغير .. فى صورة الكتاب أو المجلة أو وسائل الإعلام المختلفة.

ولأن الثقافة تبدأ بالطفل . كما يقولون . فإن الأدب يجيء فى مقدمة الوسائط الثقافية وهذا الأدب يوجد معظمه فى بطون الكتب. لهذا تمثل علاقة الطفل بالكتاب المفتاح الطبيعي إلى أبواب التعليم والتنشيف. ومن ثم تبرز أهمية القراءة فى مجال الطفولة وكذلك أهمية الكتابة إليها.

ويمكن فى هذا الصدد أن نؤكد باطمئنان كبير أن الكتابة للطفل عمل شاق.. يتطلب قدرات خاصة لدى الكاتب.. وقد سئل الكاتب الإنجليزي صمويل بيكت: لماذا لا تكتب للأطفال فقال: لأنني لم أنضج بعد..!

ولا شك أن مثل هذه الإجابة تضعنا أمام دهشة مسئولية صادقة حقًا.. فقد أدرك الكاتب الكبير دور كاتب الأطفال.. وأدرك أيضًا أن الطفل ليس تلك الشخصية التابعة المنقادة.. وإنما هو فى الحقيقة قارئ نقاد.. ومتفرج نقاد.. لا يمكنه أن يرائى أو يفصح عن شيء لا يعنقه ولا يؤمن به.

وثرى فى هذا الصدد تلك القصة التى كتبها (هانز كريستيان أندرسون) بعنوان (ملابس الإمبراطور الجديدة) لتقوم دليلاً على صدق هذه المقولة. وتحكى هذه القصة أن إمبراطورًا أراد أن يلبس ملابس جديدة لم يلبسها غيره، فتسابق إليه الخياطون من جميع بقاع الإمبراطورية يعرضون عليه الأقمشة الفاخرة من ذهب وفضة

مطرزة فريدة تفوق كل وصف، غير أن الإمبراطور كان يرفضها جميعًا.

وظل الإمبراطور على تلك الحال حتى جاءه رجل يعرض عليه قماشًا سحريًا لا يراه إلا الأذكىاء، أما الأغبياء فلا يستطيعون رؤيته، وقبّل الملك ذلك العرض، وجاء الرجل بمعزله، وظل يعمل فى القصر، وكان الإمبراطور يدخل عليه .. كل يوم.. فلا يرى شيئًا على المغزل، لكنه لم يكن يفصح عن ذلك حتى لا يقال عنه إنه غبى. بل على العكس، كان يبدي إعجابه بالقماش الذى لا يراه، وكما فعل الإمبراطور.. فعل وزراؤه وحاشيته حتى لا يتهموا بالغباء، والرجل يعمل كل يوم على مغزل خالٍ تمامًا، ويتلقى عبارات الإعجاب من الإمبراطور ووزرائه.

ويعلن الرجل الانتهاء من غزل القماش، ويبدأ فى تفصيل الحلة للإمبراطور وسط الإعجاب الكاذب من الجميع، وتنتهى مهمته، ويجزل الإمبراطور له العطاء والهدايا.

يقرر الإمبراطور أن يلبس حلته الجديدة ويسير بها فى موكب كبير فى شوارع العاصمة، وتحتشد.. الجماهير لمشاهدة . الحلة المعجزة . التى لا يراها الأغبياء، ويسير الإمبراطور وحوله حاشيته، وتتعالى صيحات الإعجاب من الحشود على جانبي الطريق.

وفجأة يصرخ طفل "يا إلهى.. إن الإمبراطور يسير عاريًا.. إن الإمبراطور يسير عاريًا" وسرعان ما وجد صراخ الطفل صده، فتنصاعد أصوات الجماهير لتكرر كلام الطفل، وتتكشف الخدعة الكبيرة!

ذلك هو الطفل . المخلوق . الذى لا يعرف الرياء إلى قلبه سبيلًا، فإذا شاهد مسرحية

لا تعجبه تملل فى مقعده، وإذا شاهد فيلمًا رديئًا فضّل عليه النوم، وإذا قرأ كتابًا مملا أو مجافياً للحقيقة تركه.. ذلك هو الطفل القارئ النقاد، المشاهد النقاد. من هنا كان التعامل مع الطفل يتسم بحساسية دقيقة، وي طرح عددًا من الأسئلة . خاصة فى مجال الكلمة المكتوبة أهمها:

- من يكتب ؟
 - ولمن يكتب ؟
 - وماذا نكتب؟
 - وإلى أي شيء نهدف؟
 - ومتى نقدم الكتاب للطفل وكيف نقدمه؟
 - وما اللغة المناسبة لمراحل الطفولة؟
- إلى آخر علامات الاستفهام المعروفة.. إن الكتابة موهبة قبل كل شيء، وإذا كانت الموهبة تنضج وتنمو بالعلم والخبرة فإنها ضرورة بالنسبة لكاتب الأطفال الذى يتمثل فى تكوينه الثقافى دعائم ثلاث رئيسية تقوم على اعتبارات ثلاثة هى:
- 1 . اعتبارات تربوية وسيكولوجية خاصة بتعامل الكاتب مع الطفل فى أعمارهِ وبيئاتهِ المختلفة.
 - 2 . اعتبارات أدبية وفكرية تؤهله للاتصال بالطفل اتصالاً وثيقاً شائعاً.
 - 3 . اعتبارات فنية خاصة بالكاتب وسيطاً للطفل.

وإحداث نوع من التوازن بين تلك الاعتبارات يفسر تمامًا إلى أي مدى يقبل الطفل من الكاتب ذلك العطاء اللغوي والفني معًا.

وهناك من يؤكد أن الطفل يولد مزودًا بحاجة فطرية إلى التعبير، وبميول واضحة إلى محاكاة ما يستمع إليه من أصوات تعد اتجاهات إلى المناغاة، وتلاعبًا بالأصوات، كما أنه يولد أيضًا مزودًا بقدرة فطرية على تعلم اللغة، واكتساب مهارتها. إنه يلجأ إلى التعبير عن ذاته بالصياح.. وسرعان ما يترجم ذلك في بضع كلمات، ثم يبدأ في استخدام.. الحديث التقليدي الذي يبدأ بالكلمات البسيطة فالمركبة.

لقد قام كثير من الباحثين بالتعرف على خصائص لغة الطفل المعاصر، بقصد التعرف على قاموسه.. اللغوي، وعلى أكثر الكلمات شيوعًا في حديثه، وعلى مفاهيمه المختلفة، والمعاني التي يقصد إليها حين يعبر، والتي تختلف بالتأكيد عن مثيلاتها عند الكبار، ويشير الدكتور محمد محمود رضوان إلى بعض تلك الخصائص في كتابه (الطفل يستعد للقراءة) على هذا النحو:

1 . يغلب على لغة الطفل أن تتعلق بالمحسوسات لا بالمجردات. فالطفل أول ما يتعلم الحديث يبدأ بما تقع عليه حواسه، وبما يطلق عليه علماء اللغة (أسماء الذوات) في مقابل (أسماء المعاني).. فهو يتعرف في البداية على (بابا) و(ماما) و(البن) و(رغيف).. إلخ ثم على (أرنب) و (قطّة) و(دمية) و (كرسى).. إلخ ثم يتبع ذلك الأفعال.

أما أسماء المعنويات مثل (حب) و (حنان) و (فرح) و (نسيان).. إلخ فتختلف عن سابقتها إذ تقتضى خبرات معينة فى مواقف تهىء للطفل عملية (التعميم). وتلك القدرة لا تأتى للطفل إلا متأخرة.. ولذا فمن العبث أن تشتمل المادة القرائية لطفل الابتدائى على كلمات مثل (الحرية) و (الكرامة) و (الواجب).

2 . يغلب على لغة الطفل أن تتركز حول النفس:

وعلة ذلك أن الطفل قبل سن دخوله المدرسة غير اجتماعى، وإنما تغلب عليه روح الأنانية ويصفه آخرون أنه شرير بطبعه.

وفى هذه السن قد يلعب الطفل مع غيره من الأطفال، لكنه سرعان ما ينفصل عنهم عقب تنافس أو شجار، أو لأنه وجد غيرهم، وقد يشترك مع غيره باسمًا لكنه سرعان ما يغادر أصدقاءه باكيًا لأنهم لم يحققوا له رغبته الخاصة فى الاستئثار بشىء ما. وإذا راقبنا الطفل فى سن دخوله المدرسة لفت نظرنا فى حديثه تكراره للضمائر التى تدل على المتكلم مثل (أنا).. والتاء فى مثل (لعبت) والباء فى مثل (ضربنى). بل نجد الطفل يكرر كلمة (أنا) حيث يمكنه الاستغناء عنها بمجرد العطف، وهو يفعل ذلك إمعانًا فى إحساسه بنفسه وتأكيدًا لذاته.

3 . يغلب على لغة الطفل البساطة.. وعدم الدقة والتحديد.

4 . للطفل مفاهيمه وتراكيبه الخاصة فى الكلام.

ومن ذلك مثلاً أن كلمة (بحر) تعنى للطفل المصرى فى سن الثالثة أو الرابعة أى

كمية من الماء تجمعت فى مكان ما سواء فى الحمام أو فى أرض الحديقة، فإذا بلغ الطفل السادسة فإن الطفل يعنى بها (الترعة) أو (النهر) أو (البحيرة) أو (البحر) وينتهى الدكتور محمد محمود رضوان إلى نتائج تستحق التقدير.. وتفتح الطريق أمام كاتب الأطفال فى استخدام ما يشبه قاموس اللغة الملائم الذى يخاطب به الطفل، وتعطيه مؤشرات عن تلك المفاهيم الأثيرة لدى الطفل.

وهناك ملاحظة هامة فى هذا المجال تتعلق بلغة الطفل التى ينبغى أن يقرأ بها كتبه، فكثير من كتّاب الطفل يلجأ إلى (اللغة العامية) توهماً أنها أصلح الأدوات المؤثرة فى ثقافة الطفل ولا ينطبق ذلك على الكتاب فحسب، بل نجده كذلك فى معظم وسائل الإعلام والثقافة التى تخاطب الطفل.

ولنا أن نتصور ذلك الطفل المسكين الذى نوقعه فى متناقضات نفيسة وتربوية دائماً ، فهو يذهب إلى مدرسته ليتلقى تعليمه فى كتبه المكتوبة باللغة العربية الفصحى المبسطة، ويحفظ أناشيده بها كذلك، ثم يجلس أمام الشاشة الصغيرة ليفاجأ بلغة أخرى مختلفة ويجدها كذلك فى المذياع حينما يستمع إلى برامجه الخاصة، إنه ولا شك مسكين أمام ذلك (الانشطار) اللغوى الذى يعانیه، فلماذا لا تكون اللغة الفصحى المبسطة هى لغتنا فى مخاطبة الطفل، ولماذا يخشى كاتب الطفل استخدام هذه اللغة، إنه لن يكلف نفسه مشقة البحث عن الكلمة المناسبة إذا هو وضع نفسه مكان القاريء الصغير، واستخدام القاموس الملائم له!

لقد وضعت بعض المحاولات لإنشاء قاموس شائع بالمفردات التى يتقبلها الطفل ومع تحفظى الشديد على مثل هذه المحاولات.. إلا أنها محاولات تستحق التقدير، فماذا لو جرب الكاتب أن يكتب ما يريد فى أبسط المفردات فبلاً من أن يقول (ياكل)

بالعامية.. يضع الهمزة على الألف ليقول (ياكل)، وبدلاً من (ياخذ) يقول (ياخذ) بل يبتعد عن مشاكل اللغة المعقدة التي يغرق فيها الكبار أنفسهم.

إن اللغة العربية تحتوي على مفردات و مترادفات ثرية قابلة للاختيار والاستخدام الأنسب في أي مجال. بعكس اللغة الأجنبية مثلاً.. فقد تقابل مفردة عربية واحدة عدة مفردات من اللغة الأجنبية مثل: I have eaten it تعنى باللغة العربية (أكلتها): كلمة واحدة في مقابل أربع كلمات.. مما يحفز على اكتشاف ثراء تلك اللغة الأصلية وجذب انتباه الطفل إليها من أيسر الطرق.. كما يتصور بعض الباحثين أن كتاب الطفل مرتبط بسن معينة من عمر الطفل، تلك السن التي تؤهله للدخول إلى المرحلة الأولى من الدراسة. وهذا اعتقاد خاطيء يؤدي . منذ البداية . إلى قطع العلاقة المرتقبة بين الطفل والكتاب ذلك أن الطفل ينبغي أن يكتسب تلك الخبرة المتمثلة في علاقته مع الكلمة المكتوبة قبل أن يدخل المدرسة.

ولعل ذلك يفسر ضرورة أن ينشأ الطفل في بيئة تشجع على القراءة، وفي بيت لا يخلو من مكتبة للكتب، فيشاهد الكبار كيف يتعاملون مع الكتاب، ويحاكي دورهم في ذلك الصدد بنفس العناية والاهتمام.

ومثل ذلك الطفل يذهب إلى المدرسة مسلحاً بتلك الخبرة الخاصة، فيقبل بسعادة وشغف على كتابه المدرسي.

إن مرحلة ما قبل القراءة مرحلة هامة في تكوين قدرات وملكات الطفل، وإذا تراجع الكتاب عن دوره في هذه المرحلة، فسيؤثر ذلك بالضرورة على تلك القدرات والملكات.. وليس المقصود هنا أن يكون الكتاب بالمفهوم العام المتعارف عليه، وإنما

ينبغي أن يفى بحاجة تلك المرحلة من العمر، فهو يقترب من الألعاب، وتساهم الحواس المختلفة فى التعرف عليه، لقد أدرك.. ذلك كثير من المتخصصين فى الدول المتقدمة فقدموا الكتاب المصوّر والكتاب المجسّم والكتاب الموسيقى والكتاب المطرّز على ورق مقوى يقاوم عبث الأطفال، ويقسم الباحثون سلوك الأطفال فى سن ما قبل القراءة إلى مراحل مختلفة أهمها:

1 . مرحلة التناول باليد :

حيث ينظر الطفل إلى أى شىء حوله فيضعه فى فمه، ويمسكه بيده، ويسقطه على الأرض، وينتزع الورق ويمزقه.

2 . مرحلة الإشارة إلى الصور :

وتبدأ هذه المرحلة مع بداية الشهر الخامس عشر من عمر الطفل، وهنا تقوم الأم بدور رئيسى حيث تقلب له صفحات الكتاب فى حين يستمتع الطفل بمشاهدة الصور المألوفة (الكرة . القط . المقعد) وأفضل الكتب لهذه المرحلة تلك المصنوعة من صحائف من القماش أو أية مادة تقوى على تحمل ما يوجهه الطفل إليها من سلوك عنيف.

3 . مرحلة تسمية الأشياء :

وتبدأ مع بداية الشهر الثامن عشر.. حيث يسأل الطفل الكبار عن الصور: ما هذا؟ أو هو يبدأ يقلّد أصوات الحيوانات التى يرى صورها. ويبدأ الطفل هنا فى اكتساب معلوماته عن طريق الكتاب.

4 . مرحلة حب القصص القصيرة البسيطة والكلمات المنعّمة:

وتبدأ بعد تمام عامين من عمر الطفل وتمتد إلى ثلاثة أعوام، وفي هذه المرحلة يسمى الطفل عملية النظر إلى الكتاب (قراءة).. ويحب أن يرى شيئاً يحدث في كل صورة يراها (مثلاً.. ولد يلعب بالكرة، كلب يجرى وراء قطة).. وفي هذه المرحلة أيضاً يظهر الطفل إدراكه للحروف باعتبارها شيئاً آخر يغطى جانباً من الكتاب.

5 . مرحلة البحث عن المعانى:

ما بعد ثلاث سنوات حيث تبدو الصور وكأنها أشياء حقيقية حية يتعامل معها ويتأثر ببيئتها وفرحها.. وفي هذه المرحلة يستمتع الطفل بالأغاني المسجوعة والأناشيد، ويهتم بالمعلومات عن أشياء يود التعرف إليها مثل السيار والطيارة والقطار.. ويبدأ الطفل في تخصيص مكان لحفظ كتبه.

6 . مرحلة سرد القصص وملاحظة الحروف: وتأتى مع العام الرابع.

7 . مرحلة المهارات: ما بعد الرابعة إلى الخامسة حيث يحب الكتاب الذى يحتوى على حقائق أو خيال.. أو صور كاريكاتورية.

أما مراحل ما بعد القراءة فهي أربع أساسية:

(أ) مرحلة اكتساب العادات الرئيسية للقراءة.. وتمتد من السادسة إلى السابعة

حيث يكتسب الطفل قدرته على مزج الكلمات وتكوين الجمل.

(ب) مرحلة النمو السريع في إتقان المهارات الأساسية لقراءة.. وتمتد من الثامنة

إلى العاشرة وفيها ينتقل الطفل من تعلم القراءة إلى القراءة للتعلم، وتزداد

سرعة الطفل في القراءة الجهرية والصامتة، وينبغي أن يكون الكتاب هنا

شائئاً، ميسراً في لغته.

(ج) مرحلة التوسع في القراءة.. وتمتد حتى الرابعة عشرة.. وتتكون فيها الثروة

اللغوية للطفل.

(د) مرحلة النضج: وتمتد إلى السادسة عشرة وفيها تأخذ اهتمامات القراءة في

التخصص.. وهكذا نقترّب من عالم الطفل بما يتيح لنا أن ندخله ونحن نعرف

عنه الكثير.

وكان لا بد لنا من القيام بهذه الرحلة الموجزة.. لكي ننتحى في الخطوة القادمة

زاوية من زوايا هذا العالم وهو عالم الشعر.. نجوب آفاقه.. وتاريخه مع الطفل . ما

وسعنا الجهد والوقت ..

الطفل.. والشعر

تمهيد فى عالمى الشعر والموسيقى:

يقرر (نيتشة) فى شىء من التأكيد والسعادة أنه: لولا الموسيقى لكانت الحياة خطأ! ولقد اهتدى الإنسان القديم إلى الموسيقى قبل أن يهتدى إلى اللغة.. بدأها بالصياح على زميله من أجل أن يستجيب له أو يقضى له حاجته.. وهذه صورة بسيطة تابع الإنسان القديم صداها فى عالمه.. حتى اعتقد أن بداخل الأشياء الطبيعية مثل الشمس والقمر والأشجار والحيوان والنار. آلهة طيبة وأخرى شريرة.. ولكى ترضى هذه الآلهة كان الناس يصيحون إليها ويرقصون.!

ثم بدأ الناس يصفقون بأيديهم بمصاحبة الصياح والرقص . ثم بمصاحبة كلمات مغناة فيما بعد . ويستغرق أحدهم فى نشوة غامرة.. فيضرب جذع الشجرة بعصا.. لتظهر أول آلة موسيقية.

ثم يكشف أحد الناس بعد ذلك أن الريح تحدث صوتاً متميزاً لطيفاً حينما تمر فى نفق جبلى، بل يتغير هذا الصوت بتغير طبيعة هذا النفق.. كما يلاحظ صياد ذكى أن النقر على أوتار قوسه يحدث صوتاً مختلفاً جميلاً.

واليوم تُبنى جميع الآلات الموسيقية على هذه الأسس الثلاثة: الضرب . النفخ . النقر وهذه الآلات نفسها هى التى تمتعنا بالأنغام الموسيقية العذبة.

ولابد أن الإنسان حاول كثيراً أن يحاكي تلك الأصوات والآلات بفمه.. لكنه

استعاض عنها باللغة..فكون كلماتها بأنغام وأوزان خاصة.. ووضع لها مقاييسها الخاصة التي استعيرت من إيقاعات الموسيقى.. فالنطق ما هو إلا مجموعة من الحركات والسكنات التي تتواءم مع الذوق ومع استعداد حاسة السمع. ولهذا اعتبر الشعر من الفنون الجميلة.. بل انتمى إلى فنون الزمان (الجمال المتحرك) التي تشمل الموسيقى والشعر والغناء والرقص .. على حين اشتملت فنون المكان (الجمال الثابت) العمارة والتصوير والنحت.

ويقرر العلماء أن الوظيفة الحسية والوجدانية للموسيقى واضحة بينة.. وليس غريبا أن تعبر عن..انفعالات داخلية..ما دامت هذه الانفعالات نفسها هي سبب وجودها وبعثها.

ولا يختلف أحد على أن الموسيقى تهدف دوما إلى الإفصاح عن بعض الأحاسيس وإيقاظ بعضها الآخر.. ومن ثم اهتم الموسيقيون دائما بالبحث عن النبرة الصادقة.. وعن صدى نبضات القلب في..هذا الفن الذي يعبر بلا كلمة مفهومة..ويحمل ميزة خفية أكثر غموضًا من مجرد إثارة الوجدان..وهي القدرة على خلق صور.. إن هذه القدرة الغامضة للموسيقى على خلق الصور.. نجدها على الطرف الآخر أقل غموضًا وأكثرمنطقية في الفنون الي تخضع للتفسير والتعليق مثل الرسم والنحت والشعر.. وما تفعله الموسيقى بلا شك يتصف بالروعة والعجب معا .. لأنه يتم عن طريق قوى خفية للصوت بدون أن يُخطَّ سطرًا واحد.. وبدون أن تستخدم كلمة واحدة.. وهذه القوى الخفية قد تقود الإنسان إلى الحلم وإلى أفكار كثيرة تتعلق

بهذا الحلم.

ومن ثم يقترب جوهر الموسيقى من جوهر الشعر الذى يجتهد فى تحويل الواقع إلى الحلم.. وفى ترطيب الحلم بالصورة والإحساس لعله يصبح واقعاً.. وهنا تتبلور أهمية الكلمة ويصبح لها المقام الأول لحمل تلك الأحاسيس التى وإن وقعت بعض الوقت فى غموض القوى الخفية .. لكنها سرعان ما تبلغ لحظات الكشف والتتوير فيحسّها الإنسان بكامل حواسه.

والتوافق بين الكلمة الشعرية والموسيقى تقوم على أسس نفسية وفنية معروفة.. وإذا لم يكن هناك توافق مطلق بينهما، فسوف تبدو الموسيقى وكأنها على غير صلة بالكلمة .. وينعدم عندئذ التآليف بين عنصري الإحساس . الإحساس بالكلمة والإحساس بالنغم . بما يجعله مبلبلا.

وكلما اقترب كل من الشعر والموسيقى إلى محاكاة الطبيعة كان كل منهما أكثر صدقاً مع نفسه وصدقاً مع المتلقي.

ولا يعنى هذا أن التطابق بين الفنين مطلق لا ينفذ منه الهواء.. لكنهما مهما اختلفا فإن ملامحهما الشكلية . على الأقل . تردهما إلى تلك الأرض المشتركة التى تتجلى فى كثير من المظاهر . فالأصوات الموسيقية . كالكلمات . تتألف منها عبارات وجمل وفقرات.. والحركات الموسيقية الكبيرة ما هى إلا تتابع فقرات يتصل بعضها ببعض اتصالاً منطقيًا.. تماماً مثلما تتصل أبيات القصيدة..الواحدة أو الدراما المسرحية.

والأدب عامة يرقم بعلامات الترقيم (كالشولة وعلامة الوقف والنقط وما إليها) وقد اتخذ الشعر علاماته الخاصة. وخاصة (الشعر الحديث) أو هو تخير من العلامات ما يلائم طبيعته، لأنه يحاول أن يقترب من لغة الحكي المعاصرة.. بل تكاد تلك العلامات تمثل لدى بعض الشعراء جانبا مهماً من التشكيل الشعري أو مفاتيح الدخول إلى عالم القصيدة.

ولا يكاد الأمر يختلف في الموسيقى.. فهي ترقم كذلك بواسطة تآلفات متتابعة تعرف باسم القفلات.. (Cadences).

أما الرنين الخاص بكل قفلة فيعرفه كل دارس للموسيقى.. ويمكن أن نقول في هذا المقام إن القفلات تنقسم إلى ثلاثة أقسام عريضة:

قفلة توحى بشعور الراحة، وقفلة توحى بعدم الانتهاء.. وقفلة توحى بالمفاجأة أو المقاطعة وهي . بمثابة نهايات الكلام في الشعر . تعبير عن الحالة النفسية.. وهناك أيضا تشابه إيقاعي نسبي في نهاية العبارات مثل نهايات الأبيات في الشعر.. وهذا البناء الشكلي المتشابه بين عالمي الموسيقى والشعر يؤكد اقترابهما وامتزاجهما.. ويؤكد كذلك أن هذا الكون الذي يحيط بنا كون موسيقى شعري.. فهو في حقيقة الأمر عالم رنان يتألف من سيمفونية طبيعية منسجمة مع أجهزة الإنسان الحسية فتستجيب لها بالاضطراب والتنافر أو التمازج والاستمتاع.. حتى يمكننا أن نقول بأن السكون المطبق ليس له وجود.

وإذا كانت الموسيقى تقاس بوحدات الإيقاع (Rythme) فإن الشعر كذلك يقاس

بموازين إيقاعية يطلق عليها عروض الشعر .

الطفل . الشعر . الموسيقى :

يقول كثير من علماء الجمال وفلاسفة الإبداع بأن الطفل يولد مزودا بحاسة سادسة يدرك بها ما في الأعمال الفنية من سحر وجمال .. ويستجيب إليها .. ويتوقف نمو

الحاسة على مدى رعايتها وإرهافها للتذوق .

كما يرى فريق آخر أن الإحساس بالجمال أمر اعتبارى شخصى نختلف فيه جميعاً وتتوقف قدرتنا على هذا الإحساس على كثير من العوامل الشخصية والمكتسبة من التجارب التى يعيشها الإنسان .

لكن الفريقين يتفقان بالنسبة للطفل على أن النغم وموسيقى الكلام يسبقان إدراكه لمعاني هذا الكلام وألفاظه المفردة .

فالطفل فى سنواته الأولى مرهف الحواس .. وربما كانت حاسة السمع أكثر حواسه إرهافاً .. إذ يتلقى سمعه . تلقائياً . مجموعة متباينة من الأصوات لا تقع تحت حصر وهو لا يزال فى مهده غير قادر على الإدراك البصرى لمن حوله .

وأول صوت يدركه الطفل ويتبينه هو صوت الأم . خاصة حينما يبكى وتندفع إليه أمه تربت فوق صدره أو تمسك بمهده الصغير فى هزة رقيقة مصحوبة بموسيقى صادرة من قلبها تنسجم مع . إيقاعات المهد الصغير ، وتسمى هذه الأنغام العذبة التى تصدرها الأم (المناغاة)⁶ .

⁶ - يمكن أن نضيف فى هذا الصدد ما يسمى بأغاني المهد، وهى أناشيد قد تعتمد على تكرار كلمات أو جمل بعينها قد تخلو من المعنى لكنها تلتزم إيقاعاً بسيطاً منسجماً بمتع الطفل ..

إن الطفل الصغير يدرك بأذنيه صوت أمه المنعم .. فيكف عن البكاء لإحساسه بالأمان .. وإحساسه أيضا بأن شيئاً جميلاً سوف يهبط عليه بعد حضور أمه. وهذا المران السمعى هو الذى يعد الطفل فى سنواته الأولى للتمييز بين الأصوات المنسجمة.. ولتلقى الكلام الموزون على إيقاعات الموسيقى فى سعادة وسرور فيما بعد.

إن التلقائية الأولى لدى الطفل لقبول الموسيقى والشعر .. أدركها كثير من المفكرين ورجال التربية.. واعتبروها عنصرًا هامًا من عناصر التربية الوجدانية والثقافية معًا.. وقد عبر (روسو) عن هذا الجانب الذى يتعلق بالشعور الإنسانى فى قوله: مهما اختلفت الجهات التى نوجه إليها الطفل.. فإن الطبيعة من حوله تدعوه . أولاً . إلى الحياة الإنسانية.. إن الحياة هى المهنة التى أريد أن أعلمه إياها.. فإذا خرج من يد المعلم فلن يكون قاضيًا أو جنديًا أو رجل دين.. وإنما يكون أولاً.. إنسانًا! وما من شك أن هذا الجانب الإنسانى ما هو إلا قاعدة الإبداع الشعرى فى كل زمان وفى كل أمة..

لقد أدرك الشعراء . منذ كان الشعر . تأثير هذا اللون من الأدب على الأطفال.. فالشعر يكاد يترجم حركات الطفل التلقائية.. ولغته الأولى وأجهزة وعيه وشعوره.. إنه يستجيب له استجابات ممتعة حميمة.

وفى الدراسات الحديثة للإيقاع.. يتأكد دوره فى العمل والإنتاج والإقبال على الحياة لأن الإيقاع بطبيعته مثير قوى لمناطق الحس والمشاعر الإنسانية.. والكلمة التى

تُصب في الإيقاع تملأ فراغ الوجدان بالحث على الفعل والنمو العقلي والعاطفي والأخلاقي.

وفي مجال الطفولة لا يختلف الأمر كثيرًا. فنحن نلاحظ أن الطفل كثيرًا ما يتعلق بالنص الذي يحتوى على إيقاعات راقصة متكررة.. فالجملة الإيقاعية التي تقابل جملة تماثلها تقريبًا في الحروف تصبح أعلق بذهن الطفل وأكثر التصاقًا به.. لأنه يغنيها ويرقص عليها أحيانًا ويحفظها بيسر وسهولة.. وبالتالي يتحقق النجاح للشاعر حينما يدق على مشاعر الطفل بإيقاعات مبسطة.

إن الشعراء لا بد أن يستفيد في مجال الطفولة من عالم الطفل نفسه. وإذا أراد أن يعرفه على عالم آخر.. عليه أن يمهد له إليه في حب وتشويق.. والنغم الشعري قريب جدًا من مشاعر الطفل الداخلية المنسجمة.. ويمكن أن نلاحظ ذلك عنده حينما نطالبه مثلاً بتركيب أجزاء مفككة في لعبته بحيث تأخذ شكلًا منسجمًا.. إن الطفل لا يلبث بعد مران قليل أن يكون تلك الأجزاء المتناثرة في شكل (منغم) منتظم. ينتظمه إيقاع.. نفسى وفنى. لأنه استجاب لمشاعره الداخلية المنسجمة.. لكن إلى أى حد فطن.. الإنسان على مدى الزمان الطويل إلى حقيقة وجدان الطفل ومدى ارتباطه.. بالشعر.. هل استطاع الشعراء حقًا أن يقدموا للطفل ما يمتع ويهذب سلوكه ويقوم ثقافته..؟

سوف تكون الصفحات التالية رحلة بحث وتقيب وراء الإجابة عن هذه الأسئلة من أجل هذا الكائن المعجز المشاكس . الطفل !.

شعر الأطفال فى مصر القديمة

أجمل الحكيم المصرى القديم (بتاح حوتب) دستورَه فى التربية حين قال:
"إذا نَضِجْتُ .. وكونت دارًا.. وأنجبت ولدا من نعمة الإله.. واستقام لك هذا الولد..
ووعى تعاليمك.. فالتمس له الخير كله.. وتحرك كل شىء من أجله.. فإنه ولدك.
وفلذة كبدك.. ولا تصرف عنه نفسك".

. وجاء فى تعاليم مصرية متأخرة.. ما يؤكد مسئولية الآباء فى تربية أبنائهم على
هذا النحو: "إنه تمثال من حجر ذلك الأبن الذى لم يعلمه أبوه..".

وكان المصرى القديم يحرص على كثرة نسله.. ويعمل على حسن تعليم أولاده
وتربيتهم.. وما كان يعرف سبيلاً إلى السعادة من حُرْم نعمة الإنجاب غير اللجوء
إلى التبني.

ولم يكن هذا الحرص إلا ترجمة تلقائية لرغبة الآباء فى أن يكون أبنائهم عنصراً
من عناصر الإنتاج فى المجتمع . كما هى الحال الآن فى تمسك الفلاح المصرى
البسيط بكثرة النسل وتشككه فى الوسائل الميكانيكية الحديثة أو ما يسمى بالميكنة
الزراعية.

ويذكر تاريخ أواخر الدولة القديمة أنه حين استبد الضعف والوهن بالبلاد.. أخذ
الحكيم المصرى (إيبوور) يبصر أولى الأمر بما ساقته تلك الحال من قلة المواليد
قائلاً: "حقاً لقد غدت النساء مُقلات.. وما من واحدة تحمل.. وما عاد الإله . خنوم .

بينى أطفالاً!".

أما العناية بالأطفال.. فلم يكن الرجل وحده من يقوم بهذه المهمة.. فقد شاركت الأم زوجها فى ذلك مشاركة فعلية.. ولعلها بدورها هذا قد تبوأَت مكانتها الاجتماعية والأسرية كذلك، وأشاد بدورها كثير من الكتاب فى الأدب المصري القديم.. ومن ذلك ما جاء فى تعاليم الحكيم أنى: "اعط المزيد من.. الخبز لأمك واحملها كما حملتك.. لقد كنت عبئاً ثقيلاً عليها. وحين ولدت بعد تمام أشهرك حملتك على كتفيها.. وظل ثديها فى فمك ثلاث سنين كاملة ولم تكن تشمئز منك.. وهى التى أدخلتك المدرسة لتتعلم الكتابة.. وظلت تنتظرك كل يوم.. وتحمل إليك الخبز والجة من منزلها.. وعندما تصبح شاباً وتتخذ لك زوجة.. وتستقر فى منزلك.. فضع نصب عينيك كيف ولدتك أمك.. وكل ما فعلته من أجل تربيتك.. ولا تلجئها إلى لومك أو الشكوى إلى الإله..!".

وقد صور المصريون القدماء السماء على شكل امرأة. ورمزوا بها للإلهة (تحت) التى اتخذوها إلهة للسماء. وهم بهذا يؤكدون فضل الأم وحنانها وتضحياتها فى تربية أولادها.. أدرك الصرى القديم. إذناهمية أن يعنى بتربية أبنائه.. وكثرت فى ذلك الأمثال والرسائل التى تحض الآباء على تثقيف أبنائهم وتعليمهم وتهذيبهم فى كافة مناحى الحياة وما صوره فنانون تل العمارنة مما كان بين أختاتون وبناته من تعاطف وحب وحنان أشهر من أن يذكر.. وقد أطلق المؤرخ N.Davies على أختاتون فى هذه الصورة. أول رجل يحب الأطفال (أو) أحب الناس إلى الأطفال.

وتجاوز ما اشتهر به أختاتون من أنه (أول فلاسفة التاريخ).

وهناك ملاحظة أبداها بعض المؤرخين وتشكك فيها بعضهم.. تتعلق بأن المصريين القدماء . مثلهم مثل كثير من الشعوب.. كانوا يؤثرون الولد على البنت فى كثير من الأمور .. فالأب يشرك ولده فى متعة الصيد.. وفى أعمال الزراعة.. ويؤثره أيضا فى التعليم.. وإن صح ذلك فهو يؤكد لنا استمرار هذا الإيثار فى القبائل العربية . فيما بعد . وبعض مناطق الوجه القبلى.. ومع هذا فإن المصري القديم كان يرحب بقدوم الولد أو البنت بنفس الحب ونفس الإيثار.. ونفس السعادة.. بل نجد الآباء والأمهات . فى نقوش كثيرة قديمة . كانوا يشاركون أبناءهم من الجنسين متعة اللعب .. والغناء..والرقص والضحك.. وكان صدى هذا واضحا لدى الأطفال فى شعورهم بالسعادة الإقبال على طاعة الوالدين..

ويعتبر المصريون القدماء فترة الطفولة من أدق الفترات التى يحرصون على الاهتمام بها.. لإيمانهم بأهمية تنشئة أبنائهم تنشئة جيدة صالحة.

التربية والتعليم فى مصر القديمة

إن الغريب فى مصر القديمة أن التعليم فيها يتضمن ست مراحل تعليمية وتثقيفية هى:

1 . مرحلة تعليمية أولية يتلقى فيها التلميذ تعليمه فى مدرسة متواضعة ملحقة بالمعبد.. أو فى مكان تابع لمعلمه.. وهذه المرحلة تعنى أساسًا بتعليم القراءة والكتابة .

- 2 . مرحلة تعليمية متقدمة (المدارس النظامية العامة).
 - 3 . مرحلة تطبيقية (تدل عليها كراسات تلاميذ عصر الرعامسة) . حيث كان التلاميذ يحضرونها في مكاتب العمل في الإدارات الحكومية المختلفة.
 - 4 . منهاج تربوى تثقيفى . وهى مرحلة شبة حرة.
 - 5 . ثقافة عالية تالية للمرحلة السابقة تعهدتها دور الحياة فى العصور المختلفة.
 - 6 . ثقافات متخصصة ومذاهب عرفت بها بعض المدن الكبرى.. والمعابد ومدارس الكهنة وتعتمد على المكتبات ونشاط العلماء.
- ومن الطبيعى أن يكون لكل مرحلة مناهجها الخاصة بها بما يتلاءم مع قدرة التلاميذ على الاستيعاب، وقد حاولت جاهداً . كما نفعلى الآن . أن أتعرف على سنوات العمر فى كل مرحلة من هذه المراحل..
- فلم أجد ما يوضح ذلك تماماً.. لكن المصادر الموثوقة ربطت كل مرحلة بمناهجها التى تدرس بها.
- فالمرحلة الأولى تدرس فيها قواعد اللغة .. بهدف تعلم القراءة والكتابة .. وكانت هناك وسائل كثيرة لتعلم اللغة تشابه ما يتم اليوم فى هذه السن المبكرة.. مثل ربط الكلمات بالغناء.. أو الصورة أو الصوت.. إلخ.
- وكانت هذه المرحلة لأبناء الشعب جميعاً.. أما أبناء القصور.. فقد كان يشرف عليهم مربون أو معلمون أو مؤدبون.. وتبدأ من مجرد الحاضنة أو المرضع وتنتهى بالمربى الذى يقوم بالتثقيف والتعليم.. وكان المربى يتولى أميراً صغيراً واحداً أو

أكثر ويشترط فيه سعة المعرفة والثقافة وحفظ الحكمة والاستشهاد بالأدب والشعر خاصة.

وحيثما تبدأ مع الأطفال المرحلة الجماعية العامة (المدارس النظامية) فإننا أمام مرحلة تعليمية . مُهَّـد لها من قبل . وهى مرحلة القراءة والاستيعاب . وأغلب الظن أنها مرحلة طويلة تمتد سنوات.. تهدف إلى (حشد) التعاليم والنصائح والمعلومات وعلوم الدين والحياة التى تؤهل التلميذ إلى المراحل التالية.

الأدب فى المرحلة الجماعية:

يكاد ينقسم الأدب فى مصر القديمة . بصفة عامة . إلى قسمين:

1 . أدب نثرى تعليمى تهذيبي يتضمن الحكم والأمثال والمواعظ وبعض القصص المستمدة من التراث.

2 . الشعر : وهو بدوره لونان:

(أ) شعر تعليمى تهذيبي ويتضمن الحكم والأمثال والمواعظ.

(ب) شعر خالص فى صور أناشيد يحفظها التلاميذ ويقومون بغنائها.

وقد كثرت فى مصر القديمة تلك التعاليم التربوية التى كتبت شعراً أو نثراً، والتى يمكن أن نطلق عليها (الأدب التهذيبي) وقد تميزت من حيث الشكل والمضمون

بخاصيتين هما:

أولاً: أن أغلبها موجه من والد إلى ولده (أو هى كتبت هكذا على لسان والد إلى

والده)، وهذه الخاصة تعطيها أهمية لدى الطفل الذى يحترم كل ما يوجهه إليه أبوه . ذلك الذى رباه.. وأصبح له قدرة على الحياة.

ثانيًا: أنها اعتمدت فى مجموعها على تقديم الحكمة وخبرة الحياة.

وهناك أمر جدير بالملاحظة على تلك النصوص.. فهى نصوص أودعها الكاتبون والحكماء خبرتهم الخاصة.. فأخذوا يعرفون أبناءهم من التلاميذ أمورًا كثيرة من الحياة والواقع والدين قد تبدو أكبر من سنهم.

الشعر التعليمي:

سوف نرى من خلال عرضنا لبعض النصوص أن قدرة التلاميذ الصغار على استيعابها قدرة محيرة حقًا.. لكننا حينما نربط ذلك بواقع الحياة فى مصر القديمة.. تزول حيرتنا على الفور.. فالتاريخ يذكر عددًا من الملوك والحكام كانوا يتولون عرش مصر فى سن صغيرة (تحت العشرين) وبعضهم كان.. يتولى مناصب الكهانة والتعليم فى هذه السن كذلك.. وكان الأب فى ذلك الزمان القديم ينظر إلى ولده على أنه . رجل صغير . أو قل إن طفولته طفولة كبيرة جادة.. وكان حرص الأب على تعليم ولده القراءة والكتابة والعلم أكثر من حرصه على الاشتغال بمهنة خاصة .. فالثقافة بكل ألوانها تمثل ما يهدف إليه الأب من تربية ولده ..

وهذه تعاليم خيتى بن دواوف لابنه بينى يقول فيها:

"يا ولدى عليك أن توجه (قلبك) إلى الكتب.. فلا شئ يعلو على الكتب، ليتنى

أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك.. والتلميذ حينما يبدأ طريق النجاح فإن الناس تعلق من شأنه".

ثم يصل الحكيم إلى بيت القصيد . وهو تمجيد مهنة الكتابة فيقول:

"انظر فإنك لا تجد مهنة من غير رئيس إلا مهنة الكاتب..فهو رئيس نفسه وما من كاتب ينقصه الزاد الوفير.. وأن الآلهة لترعاه".

ألا نحس في هذا النص الشعري القديم أنه قد يفوق المستوى العقلي لتلميذ في سن التعليم، والذي نفترض أنه لا يتعدى السنين العشر.. إلا أنه نص يؤكد أيضا تلك النظرة الجادة للأطفال.. وحرص الآباء على أن يكون أبنائهم مثلهم.. وأن يتفتحوا ثقافة وعلمًا وخبرة وإيمانًا بالحكمة التي تقول: "التعليم في الصغر كالنقش على الحجر".

ومن أبرز التعاليم في هذه المرحلة كذلك تلك المجموعة التي تروىها البرديات القديمة:

1 . تعاليم بتاح حوتب لابنه الصغير:

وتعتبر من أقدم التعاليم في الأدب الفرعوني (2670 ق.م تقريبا) وتتضمن مجموعة كبيرة من الحكم والأمثال والنصائح.. وهي تعاليم كتبت بالشعر. أو على أقل تقدير . كتبت بأسلوب أقرب للشعر.. تتوالى فيها الصور أمام أعيننا.. وتميط اللثام عن أهداف سامية وصور حية رائعة للحياة المنزلية والاجتماعية.. فنقرأ فيها أدب الحديث.. والغنى والفقر.. والتواضع والجد في العمل . وحتى الزوجة في معاملتها

برفق . والصراحة والعطف والكرامة والبعد عن الأذى .. والصمت والقناعة . والطاعة
وحب الناس .. إلخ .. ومن هذه التعاليم تلك النصوص:
. إذا وجدت رجلاً يتكلم .. وكان أكبر منك وأشد حكمة .. فاصغ إليه .. واحنِ ظهرك
أمامه (كناية عن الطاعة والاحترام) .
. إذا كنت في صحبة جماعة من الناس .. وكنت عليهم رئيساً ولشئونهم متولياً ..
فاعاملهم معاملة حسنة حتى لا تلام .. وليكن مسلكك معهم لا يشوبه نقص ..
. لا تنتشر الرعب بين الناس فهذا أمر يعاقب عليه الرب ..
. عندما تجلس إلى المائدة فلا تنتظر إلى ما وضع أمام غيرك . بل انظر إلى ما
وضع أمامك أنت ..!
. كن صريحاً ولا تخف من أعمالك شيئاً ..
. كن بعيداً عن الشر والعمل السييء لكي تكون أعمالك مستطابة حسنة .. وتجنب
الشرارة فهي رذيلة مهلكة ..
. كن سمح الوجه وضاء الجبين مشرق الطلعة .. ما دمت حيّاً .
. ما أجمل طاعة الابن ! إنه عبقرى فى سمعه .. عبقرى فى كلامه .. ذلك الذى يطيع
كل ما هو نبيل .. إنه أحد أبناء (حورس) .
. حقاً .. إن الابن النجيب هبة من الإله .. إنه يعمل أكثر مما يؤمر به . ويفعل الخير
ويضع قلبه فى كل أعماله ..

لقد جاء فى مقدمة هذه التعاليم أن الحكيم (بتاح حوتب) دخل على ملك مصر العليا والسفلى (إسكيسى) ثم قال له: "مرنى يا مولأى أن أجعل من ابنى خليفة لى.. يحتل مكانى.. فأعلمه عطات من يسمعون.. وأراء من سبقوا..!"

فأجاب الملك:

"علمه العظة أولاً.. حتى يكون قدوة لأولاد العظماء.. ويتحلى بالطاعة.. ويدرك كل رأى صائب ممن يتحدث إليه.. فليس هناك ولد أوتى الفهم من تلقاء نفسه".
وتبين لنا هذه المقدمة كيف كان اهتمام الحاكم كذلك بتربية الجيل الجديد.. وحرصه على أن يكون أبناء الشعب أمثلة للعظمة والطاعة والسلوك الحسن.

2 . نصائح أنى:

وهذا الكتاب الذى يعود إلى عصر الأسرة الثانية والعشرين، من عيون الأدب والحكمة وقد عثر عليه فوق لوح تلميذ صغير.. وتقول مقدمة الكتاب:
هذه فاتحة تعاليم النصح التى ألفها الكاتب أنى الذى ينتسب إلى بيت نفر . رع . نز .
(وفى هذه التعاليم يقول أنى لابنه فى أسلوب بسيط شائق:
"يا بنى.. أحدثك بما هو حسن لكى يعيه قلبك..

. لا تكثر من الكلام. فالصمت خير لك.. لا تكن ثرثاراً بلا فائدة.. وكن قبل كل شيء حريصاً فى كلامك.

. إن هلاك المرء فى لسانه..

. اعرف قيمة ربك.. واحترم اسمه وتعاليمه.. وقدم له قربانك..

. قَدِّم الماء لأبيك وأمك .. اللذين انتقلا إلى قبرهما في الصحراء .. وإياك أن تغفل هذا
الواجب .. لكي يعمل لك ابنك المِثْل ..

. ادرس الأدب .. وضعه في قلبك .. فيطيب كل ما تقول ..

. كن مجتهدًا .. لأن الرجل الذي يظل عاطلاً خاملاً لا يكون شيئًا ."

ونظرة أولى إلى هذه النصائح والتعاليم يتبين لنا بعض الأمور الهامة:

- (أ) لقد وجد كثير من تلك النصائح في ألواح تلاميذ صغار .. مما يدل . بالقطع .
على أنها كانت بين مناهج التدريس العامة .
- (ب) أنها كتبت في وضوح وسلاسة .. وشاعرية كذلك (وليتنا نعرف اللغة الأصلية
إذن لأحسننا بفنية هذه الكتابات) .
- (ج) أنها تضمنت نصائح نجد صداها في العقائد السماوية وغير السماوية .. وفي
القوانين والعرف والعادات التي التزمتها الشعوب فيما بعد .. مما يدل على قدرة
الكاتبين . في ذلك الزمان . وصدقهم ومهارتهم في الإقناع والتنبؤ واكتشاف
المجهول في النفس الإنسانية .
- (د) أنها تدعو إلى الخير والسلوك السوي والصمت عن الكلام الذي لا يجدى ، وأن
اللسان هو موطن الخطر والهلاك . (وكل هذه الأقوال لها صداها المعاصر في
الأمثال والعظات الدينية والاجتماعية مثل: إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من
ذهب . وأيضًا في الأمثال الشعبية . لسانك حسانك . وهكذا) .
- (هـ) أنها تدعو إلى الإخلاص في عبادة الإله واحترام شريعته وضرورة التقرب

إليه..

(و) أنها تدعو إلى البر بالوالدين والإحسان إليهما، تمامًا كما يدعو القرآن الكريم (وبالوالدين إحساناً).

(ز) أنها تدعو إلى قراءة الأدب بألوانه المختلفة.. وعبارة (ضعه في قلبك) عبارة متوهجة تكمن فيها كل الفائدة.. فالقلب موطن الشعور والعاطفة.. وكلما تغذى الصغير بما ينمي شعوره وعاطفته شب على القيم والحب والكمال. ولهذا وجدنا بعدها عبارة (يطيب كل ما تقول).. أى أنه لن ينطق إلا بكل شيء طيب حسن. (ح) أنها تدعو إلى العمل والاجتهاد.. لا إلى العجز والكسل.. فمن كان عاطلاً فهو نكرة في المجتمع.. وليس له قيمة في الوجود.

فإذا ما توغلنا أكثر إلى جوهر هذه النصائح وبنائها الفنى.. نجدها وقد اتخذت صفتين أساسيتين في عرض الأفكار:

الأولى . الإقناع:

فمن المؤلف أن الشعر . خاصة أسلوب الحكم والتهذيب . حينما يوجه إلى الناشئة فإنه ينبغي أن يلتزم مبدأ الإقناع.. وقد أخذت التعاليم المصرية سبيلها إلى الإقناع عن طرق شتى منها: التعقب المنطقي . والاستشهاد بالمثل والحكمة . واستخلاص العبرة من أحداث ماثلة.. أو وقعت في الماضى . ومحاولة ربط النتيجة بالسبب . والاستعانة بالوزاع الدينى.

الثانية . التوسع والاعتدال :

ومثل هذه الخاصة فى التوجيه السليم ومراعاة التوسط فى المناسبات المختلفة وفى معاملة الناشئة مع غيرهم ممن فى مستواهم..أو مع من يكبرهم فى السن.. وبهذا يتجنب الطفل طرفى الإفراط والتفريط.. ويتخذ طريق الحكمة والتعقل منذ الصغر .

وهذا التوازن الذى تدعو إليه هذه التعاليم تجعلنا نتعجب حقاً.. إذ أن الأطفال كانوا يلتزمون هذا المنهج.. وكثيراً ما كانوا يقومون بأعمال ومسئوليات فى الواقع أكبر من سنهم.. مما يدل على أن الطفل يمكن أن يعبأ بأفكار ومضامين.. تعيش معه .. وتجعله . ليس الطفل المدلل . ولكن . الطفل الكبير . أو الرجل الصغير !.

الشعر الخالص :

إننا هنا أمام الشق الآخر من الأشعار، بعد أن تناولنا آنفاً الشق الأول الشعر التعليمى أو التهذيبي . وما نقصده هو الشعر الخالص..أو ما يمكن أن نطلق عليه الشعر الدنيوي أو الاجتماعى أو البعيد عن المباشرة والتقريرية.

وقد زادت أهمية الشعر الذى يقدم للتلاميذ رغبة فى التعرف على جوانب الحياة بنظرة فنية: فحياة الفراعنة وانتصاراتهم وأعمالهم الفنية وما اتصل بها من رموز وتيجان ومدن وقصور كل هذا أفسح مجالاً خصباً للشعر .

لقد وجدت أشعار تمجد الآلهة..وأشعار تمدح الحكام..أو بعض الطوائف التى تخدم الآلهة.. وأشعارتسجل الأحداث وتشيد بالانتصارات.. وأشعار تمجد الماضى

والحاضر. وأشعار فى الحب العفیف.. إلى آخر هذه الأغراض التى تعرف فى
فن الشعر.. ومن أشهر القصائد التى وجدت على مدى التاريخ الفرعونى(نشيد
النیل) وفيه يقول مؤلفه المجهول:

حمدًا للنیل..

ينزل من السماء

ويسقى البرارى البعيدة عن الماء..

وينتج الشعير.. وينبت الحنطة

وهو سيد الأسماك..

وهو الذى يحدد للمعابد أعيادها

فإذا تكاسل انسدت الأنوف وافتقر الناس وهلكت الملايين..

وإذا بخل.. ذعرت الأرض وبكى الكبير والصغير..

وإذا ارتفع مرة أخرى وأشرق..

تصبح الأرض فى حبور.. والناس فى سرور

وسرعان ما تبتسم الوجوه.. وتستريح القلوب..

ويكاد هذا النشيد تتردد معانيه نفسها فى كل الكتابات الشعرية التى كتبت عن النيل

فى العصر الحديث..فإذا ما قرأنا نشيد النيل للشاعر أحمد شوقى . وقد كتبه أيضًا

للناشئة . لا نكاد نجد اختلافًا.. يقول شوقى:

النيل العذب هو الكوثر
والجنة شاطئه الأخضر
ريان الصفحة والمنظر
ما أبهى الخلد وما أنضر

(إلى آخر النشيد)

كما وجدت إلى جانب القصائد والأناشيد التي تتناول النيل .. قصائد وأغانٍ أخرى تتناول الانتصارات المتتالية.. بما يمكن أن نطلق عليه بتعبير العصر (الأغاني والأناشيد الوطنية).. والغريب في هذه القصائد أنها أيضًا لا تختلف كثيرًا من حيث الإحساس والتجربة الوطنية في أى عصر من العصور .. ومن هذه الألوان تلك الأغنية التي تشيد بالنصر والتي كتبت في عهد الملك (منفتاح).. وفيها:
هذا الذى يفتح أبواب الأسوار (أى الحاكم).

والذى يدع معابده تستقبل قرابينها

وهو الذى يقوى قلوب الألوف من البشر

ويقوّض بها أركان العدو

إنه يصد الأعداء بشجاعة وهم يطنون أرض مصر

وحينما يعود الجيش منتصرًا من أرض المعركة نجد أنشودة أخرى تشيد بهذه

العودة . وهي تعود إلى عهد الدولة القديمة . وفيها يقول الشاعر :

هذا الجيش عاد إلى وطنه موفّقًا

فقد مرّق بلاد سكان الرمال

هذا الجيش عاد إلى وطنه موفّقًا

فقد دمّر حصون الأعداء

هذا الجيش عاد إلى وطنه موقفاً

فقد أحضر جنوداً كثيرة أسرى..

ومن يقرأ هذه القصائد الوطنية يلاحظ أن ظاهرة التكرار هنا قُصد بها تمجيد الجيش، كما قصد بها كذلك تيسير حفظ الأنشودة وترديدها.. لتكون نشيداً عاماً لا صعوبة فيه، والمعروف . فى غياب وسائل الإعلام الحديثة . أن المدرسة هى العرين الأول لترديد مثل هذه القصائد باعتبارها جزءاً من مناهج التربية الوطنية..

ولم يكن النيل وحده أو الجيش أو النصر موضوعاً للشعر الخالص الذى يردده التلاميذ ويغنونه.. وإنما وجدت قصائد أخرى وأناشيد، من أشهرها تلك القصائد التى تغنى بها التلاميذ فى فضل المربي (المعلم) ومن القصائد .. ما كتبه تلميذ إلى معلمه يقول:

لسوف تهبط إلى سفينتك

عامرة من المقدمة إلى المؤخرة

وتبلغ قصرك البديع

الذى أقمته بنفسك لنفسك..

وتستمر القصيدة هكذا تمجد المربي (المعلم) وتشيد بفضله فى التعليم والتثقيف.. ويلفت النظر هنا أن كاتب القصيدة كان أحد التلاميذ.. مما يوضح لنا أن الشعر كذلك . مثله مثل مواد الدراسة الأخرى . كان يُدرس للتلاميذ.. وكان التلاميذ

يكتبونه . أو هم يحاولونه . وكان المعلم سعيدًا بذلك .. سعادة التلميذ الذى يكتب قصيدته فى مدح معلمه .

وهذا أمر يقف بنا أمام حقيقة مهمة .. هى أن الإبداع . والفن عامة بالضرورة . ليس مقصورًا على الكبار . أو الحكماء . فقد كان يمارسه التلاميذ صغار السن كذلك ما داموا يمتلكون الموهبة والقواعد الفنية للشعر ..

خلاصة:

كانت رحلتنا السريعة تتركز حول الأدب . وخاصة الشعر . الذى كان ضمن المواد التى تدرس فى المرحلة التعليمية الأولية فى المدارس النظامية .. وتلك المرحلة هى التى تعيننا فى دراستنا ونحن نطوف مع الطفل الذى يتلقى فى هذه السنوات الأولى .. ما يساعده على النمو العقلى .. والنضج الوجدانى ولهذا لم نتعرض للمراحل التالية باعتبارها تخرج عن نطاق .. الدراسة إلى التطبيق .. وباعتبار الدارسين فيها قد تجاوزوا عمر الطفولة المفترض .

وخلاصة ما نود أن نخرج به .. أن التربية المصرية القديمة قد سلكت مسلكاً وسطاً يستهدف غايات مخصصة فى التعليم والتثقيف .. حيث تضمنت قواعد السلوك والأخلاق وسبل العبادة الحقة والحياة السليمة .. وكان أوضح أهداف التربية فى ذلك العصر القديم حتى أحدث الدول فيه . أن تكفل للناشئ عقلاً ناضجاً .. وفكرًا واعياً متفتحاً .. لمواجهة الحياة والمشاكل اليومية . وكان الشعر يمثل جانباً هاماً من جوانب

الأدب طوال عصور الفراعنة المختلفة.. وكان ذا شقين: شعر يدخل ضمن الأدب..
التهذيبي أو الديني.. وهو صياغة سلسلة للحكم والأمثال والنصائح.. لكبار الحكماء.
وأحيانًا كتبه الآباء . وشعر خالص يأخذ بيد الطفل إلى عالمه الواقعي والوجداني
معًا.. فيتناول كل شيء من حوله في أغراض شتى دينية واجتماعية ووصفية
وغزلية ووطنية.. وغيرها . ووجدت محاولات قادرة لكتابة الشعر على يد الأطفال
أنفسهم.. فكانوا يكتبونه بخط واضح كبير.. ويُسحون له في .. ألواحهم وبردياتهم
الصغيرة.. وكانوا ينظرون إلى معلمهم نظرة.. احترام وتقدير وينشئون أشعارًا فيهم.
والملف للنظر أنها كانت.. أشعارًا نلمس فيها سحر البيان والحكمة كذلك، وكان
شعار الأطفال الذين يكتبون الشعر هو لا تَقُلْ أجَدْتُ الكتابة ما دمت .. لست كذلك
.. "لا تقل إنى متعلم، واستمر فى تحصيل المعرفة". ولا شك أن مبدأ كهذا يضع
الطفل أمام مسؤولية كبيرة فى هذه السن المبكرة.. ومجتمع هذا شأنه مع أطفاله..
يعطينا إجابات.. شافية عن أسباب القوة والعبقرية التى سادت عصور الفراعنة..
فما من شك أن هؤلاء الأطفال هم الذين . بعد سنوات قليلة أصبحوا حكماء وحكماء
وقوادًا وكتبَةً وكهانًا.. وأضافوا الكثير إلى الحضارة لتكون من أكبر حضارات العالم
القديمة فنًا وأدبًا وقدرة على الإبداع..

شعر الأطفال في التراث العربي

مفهوم واحد .. أو .. كثرة:

وصولاً إلى التعرف على نظرة العرب لأبنائهم الصغار. رأينا أن نعود إلى معاجم

العربية لكي تقودنا إلى مفهوم (الطفل) الذي يمثل محور هذه الدراسة.

وهناك في هذه المعاجم أكثر من مادة . قد تجتمع وقد تختلف . تأخذ بأيدينا إلى هذا الهدف..

ففي لسان العرب .. نستطيع أن نلتقط هذه المفردات:

* الحدث: هو الشاب فتى السن.

* الصبي: من لُدُنْ يولد إلى أن يُفطم .. أو هو الغلام.

* الصِّبَا: الصغر في السن.

* ويقول أبو الهيثم: الصبي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم.

* الناشئ: هو فوق المحتلم، أو هو الحدث اللذي جاوز حدَّ الصغر، ومن بلغ الحطم فجرى عليه حكم الرجال..

هذا ما قالته المعاجم اللغوية .. فماذا عند علماء النفس.

تكاد تجمع كثير من المراجع الموثوقة أن الحدث هو الطفل الذي لم يصل إلى سن

البلوغ الجسمي والعقلي والانفعالي بمعنى أنه لا يزال في دور التذبذب والتغيير ولم

يصل بعد إلى حالة الثبات أو (النضج). وتنتهي هذه المرحلة في سن 16 أو 18 سن

ولو أخذنا بالتوفيق بين معاجم اللغة وآراء علم النفس لن نجد اختلافاً كبيراً، فحيث

تقول المعاجم إن الناشئ (فويق المحتمل).. فقد يصل مدى هذا (الفويق) إلى سن 16 سنة، وتكون تلك المفاهيم على كثرتها تقترب على معنى أهدأ أو تُحدد في سنوات ، واحدة تنتهي عند هذه السن..سواء كان طفلاً أم حدثاً أم صبيّاً أم غلاماً أم ناشئاً. لكن الأمر الذي يحق لنا أن نسلط عليه الضوء.. هو نظرة العرب إلى هذا الطفل.. لقد.. رأينا كيف نظر القدماء . في مصر القديمة على وجه الخصوص . إلى الطفل على أنه رجل صغيرلهذا وجدنا تلك الآداب التي كانت تقدم له تحترم فيه عقله.. ومستوى نضجه بل تأخذ به من تلك المرحلة الصغيرة إلى مرحلة قد ينظر إليها المحدثون على أنها أكبر من سنه ومن مستوى تفكيره.وتظل هذه النظرة قائمة وخالدة . خلود تلك الحضارة القديمة . إلى أزمان تالية.. ترى ماذا كانت نظرة العرب..هي أمتداد لتلك النظرة القديمة أم أنها أنقلبت فعاملت الطفل على أنه كائن مهمل لا يستحق هذا التقدير.إن خير ما يدلنا على هذه النظرة . خاصة في العصرالجاهلي . ما وصل إلينا على أيدي أدباء وشعراء تلك الفترة القديمة.. ونبدأ بأشهرقصيدة في الفخر تلك المعلقة التي قالها عمرو بن كلثوم مباهياً مفاخرًا، ومزدرياً محترقاً عمرو بن هند لأنه أهان أمه..فبعد أن صال وجال بصور الفخر بقبيلته . بني تغلب . قال:

ألا أبلغ بني الطمّاح عنا	ودُعميّا.. فكيف وجدتمونا
إذا ما الملك سام الناس خسفاً	أبينّا أن نُقرّ الذلّ فينا
ملأنا البرّ حتى ضاق عنا	وماء البحر نملؤه سفينا

إذا بلغ الفطامَ لنا صبيُّ تخرُّ له الجبابرُ ساجدينَا

صحيح كان هذا في مجال الفخر وربما وجدنا فيه بعض المبالغة. لكن ما يهمنا فيه هي نظرة العرب إلى أبنائهم منذ وجدوا وفتحوا أعينهم على الحياة.. إن الشاعر هنا يؤكد أن الصغير لا يفترق عن الكبير من حيث كونه عضوًا من أعضاء القبيلة له حقوقه تمامًا مثل الكبير . يُسجد له كما يُسجد للكبير . ويُحترم ويُقدَّر مثله تمامًا.. والمعروف أن الشاعر هذا نفسه ساد قبيلته وهو في الخامسة عشرة. المهم في الأمر هنا أنه ليس كمًا مُهملاً ينتظر الاعتراف به حينما يبلغ سنًا معينة.. لكنه منذ يُفطم عن ثدي أمه (فصائله في عامين) يصبح شيئًا مذكورًا..

مثلٌ آخر تورده كتب التاريخ الأدبي في ذلك العصر على لسان (بشامة بن حزن النهشلي) حيث يقول:

إنا . بني نهشل . لا ندَّعي لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا
إن تُبتدَّر غايةً يوما لمكرمةٍ تلقَ السوابقَ منا والمصلينا
وليس يهلك منا سيدٌ أبدًا إلا افتلينا غلامًا سيدًا فينا

إلى هذا الحد يمكن للقبيلة أن تختار غلامًا . صغيرًا . لا رجلاً محنكًا خبيرًا ليكون سيد القبيلة.. أيكون بعد هذا شك في أن نظرة العرب إلى أبنائهم نظرة رجل لرجل.. أو هم بالأحرى . يربونهم على هذا المسلك القويم . على أدنى التصورات . وهذا

حاتم الطائي المشهور بالكرم والجود يأمر غلامه . وهو العبد المطيع . أن يوقد النار على يفاع من الأرض في الليلة الباردة .. الشديدة .. فإن جلبت النار ضيفاً فهو حر ..

أوقد فإن الليل ليل قرّ والريحُ يا غلام ريحُ صرّ
علّ يرى نارك من يمرّ إن جَلَبْتُ ضيفاً فأنت حرّ

ولا بد أن يكون مثل هذا الحوار الصادق بين طرفين يفهمان جوهر المعنى .. ولولا هذا ما وصل المعنى الذي يقصده حاتم إلى غلامه العبد .. ويسعى الغلام إلى عمله طمعاً في الحرية.

فإذا ما عبرنا الجسر إلى عصور الإسلام المختلفة تتأكد هذه النظرة مع ارتفاع المستوى الثقافي والعقائدي .. ونبذ كثير من عادات الجاهلية. وفي هذا الصدد يروي

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يرقّص الحسن . أو الحسين . ويقول:

حُرْقَةُ حُرْقَةُ تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّةُ

ويشرح المعجم لفظة حُرْقَةُ بأنه الضعيف الذي يقارب خطؤه من ضعف .. وترق:

بمعنى: اصعد . أما عين بقعة: فكناية عن صغر العين ..

وما يهمنا من هذا الموقف أن الإسلام . وعلى رأس دعوته محمد عليه السلام . يهتم

بالطفل وإن كان ضعيفاً صغيراً . ويدعوه إلى أن يرقى ويصعد ويصبح شيئاً

مذكوراً، كما تشير معاجم أخرى إلى أن (الحُرْقَةُ) يقصد به الرجل الصغير .. ويُكني

به الطفل .. وهذا موقف يندر أن يوجد يحكيه الشاعر الحطّيب في حوارية بينه وبين

ولده الصغير ، من قصيدته الشهيرة التي مطلعها:

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرحل ببذاء لم يعرف بها ساكن رسما

إن الحطيئة وأولاده لم يذوقوا طعامًا منذ ثلاث ليالٍ.. وقد عصب بطنه من الجوع
.. وحينما رأى شبحًا ضعيفًا من بعيد كثر همه وحزنه:

رأى شبحًا وسط الظلام فراعه فلما رأى ضيفًا تشمّر واهتمًا
وقال: هيا رِيَّاه ضيفٌ ولا قرى بحقك لا تحرمه تا الليلة اللّحما

ثم يأتي موقف ابنه على هذا النحو:

وقال ابنه لما رآه بحيرةٍ أيا أبتِ ادْبُخني ويبيّرُ له طُعما
ولا تعتذر بالعدم عل الذي ترى يظنُّ لنا ما لا فيوسعنا دَمًا

ويهم الحطيئة بذبح ولده . كما حدث في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .
لولا أن رأى قطيعًا من الأتن الوحشية عن بعد.. كأنما أرسلتها العناية الإلهية فداء
للصبي الصغير .

لقد دخل الأولاد هكذا قضايا الكبار .. وأصبحوا طرفًا فيها.. بل عليهم أن يفكروا فيها
ويقدموا لها حلولاً .

ولا شك أن مجتمعًا يُنظر فيه إلى الأطفال تلك النظرة.. لهو مجتمع مكتمل القيم..
إنه مجتمع حدًا بأحد الشعراء . حطّان بن المعلّى . أن يُجسّد حبه لأولاده.. وأن يقدر
وجودهم في حياة الكبار في قصيدة تخذ على مدى الأيام:

أنزلني الدهر على حُكمه من شامخ عالٍ إلى خَفْضِ

وغالني الدهرُ بوفر الغنى
أبكاني الدهرُ وياربما
لولا بُنياتُ كزُغب القَطَا
لكان لي مضطربٌ واسع
وإنمّا أولادنا بيننا
لو مرت الريحُ على بعضهم
فليس لي مالٌ سوى عِرضي
أضحكني الدهرُ بما يُرضي
رددن من بعض إلى بعضِ
في الأرض ذاتِ الطولِ والعرضِ
أكبأدنا تمشي على الأرضِ
لا تمتعت عيني عن الغمضِ

ومن المآثر القديمة.. قيل لأعرابي: صف أبنك.. قال: وُلد الناس أبناء.. وولده أبا
يُحسن ما أحسن.. ولا أحسن ما يُحسن.

والأمثلة كثيرة لا تقع تحت حصر في نظرة العرب إلى أبنائهم على أنهم مشاركون
في صنع الحياة بل هم عناصر إنتاجية في المجتمع .. يعملون ويحاربون..
ويصاحبون القوافل.. وغير ذلك من الأعمال التي يقوم بها الكبار.

القراءة والكتابة لدى العرب:

عن البلاذري في فتوح البلدان:

* دخل الإسلام وفي قریش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب: عمر بن الخطاب . وعلا
ى بن أبى طالب . وعثمان بن عفان .. إلخ.

وجاء في فتوح البلدان كذلك:

* وكان بعض اليهود قد علّم كتاب العربية وكان تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن

الأول، فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدّة يكتبون. ومن المعروف أن النبي

صلى الله عليه وسلم أفقدي أسرى بدر بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة. أما الإناث فقد كان منهن كاتبات كذلك قبل الإسلام، منهن الشفاء بنت عبد الله العدوية، وحينما جاء الإسلام تعلمت القراءة والكتابة كل من حفصة زوج النبي . وأم كلثوم بنت عقبة.. وعائشة بنت سعد وغيرهن . (البلاذري).

وما نقصده من هذه الحقائق أن العصر الجاهلي كان يعتمد على الرواية والحافظة والذاكرة.. فلم يكن لديهم نظام للتعليم أو دور يتلقى فيها الصبيان العلم. وكانت الصحراء مرتعًا خصبًا لتعلم الصبيان فنون الشعر والحرب والعمل جميعًا.

لكننا نستطيع . مع هذا . أن نلتقط ملمحًا مهمًا في ذلك العصر.. ذلك أن الشعر . ديوان العرب وسجل حياتهم . لم يكن يبتعد عن ذهن الصبيان.. وربما فرّق الناس في هذا العصر بين فنين شعريين. فن ترقيص الأطفال الصغار . الذين لا يدركون للغة معنى، لكنهم يحسون النغم والموسيقى . وما نحا نحو. وفن الشعر سواء قاله وسمعه الصغار أو الكبار، في سن مبكرة أو سن كبيرة.

(1) شعر ترقيص الأطفال:

ينتمي هذا اللون من الشعر إلى (الشعر الشعبي العربي)⁷..ويطلق عليه كذلك أغاني المهد.. وأغاني الطفولة.. وهذا اللون موجود لدى كثير من الشعوب قديمها وحديثها.. يتغير ويتطور معظرونها الاجتماعية وتغير الظواهر اللغوية.. وقد اشتهر هذا اللون عند العرب باسم ترقيص الصبيان.. ويبدو من النماذج التي سوف ترد هنا أن..العربي حينما كان يرقص أبناءه . أو بناته . إنما يضع في كلماته المنغمة ما يتمناه لهم . أو لهن من التمسك بالقيم والفضائل ومن الغد الأفضل..ولا نكاد نجد اختلافًا كبيرًا بين هذه المعاني القديمة..والمعاني العصرية اللهم إلا فروق اللغة والعصر .

أما الذكور فكان العربي حريصًا على ترقيصهم على بحر الرجز المطيع لهذا الغرض.. ومن هذه الأمثلة ما رُوى عن أعرابي قوله:

يا حبذا روحه وملمسُهُ

أصلح شيء ظلَّهُ وأكيسُهُ

الله يرحاهُ لي ويحرسُهُ

وهي كما نرى ترقيصة فخر ودعاء معًا لولده الصغير.. على حين نجد آخر يعبر

⁷- قد يصعب العثور على نصوص الشعر الشعبي لدى العرب لعدم اهتمام المؤرخين به .. لكن د. حسين نصار استطاع أن يلم بملامحه العامة في كتابه (الشعر الشعبي العربي) المكتبة الثقافية/ 60 (أول مايو 1962)- وضمنه فنون الرجز - وأغاني الأفراح - وأغاني الطفولة - وأغاني الأبار - وأغاني البناء - والحداء - وأناشيد الحروب - والنواح - وأدعية المتسولين .. مما كان يكتب بالفصحى قبل انتشار العامية والزجل وفنونه .. والجدير بالذكر أن هناك خطأ شائعًا الآن يقول بأن الأدب الشعبي - وخاصة الشعر - هو ما يكتب بالعامية .. مع أن أدب العامة - هذا إقليمي ولا علاقة له بمصطلح الأدب الشعبي!.

عن حبه الشديد لولده في قوله:

أحبه حبَّ الشحيح ماله

قد كان ذاق الفقر ثم ناله

إذا أراد بذله بدأ له

ولأن الأم العربية هي التي تقوم بتربية الطفل صغيراً.. فقد كان لها الفضل في تنشئة الأولاد على المثل العليا في الشجاعة والإقدام والكرم وكسب الشرف وغير ذلك من الصفات الحميدة.. ولهذا ينشأ الولد نشأة الرجولة والعزة.

هذه أم الفضل بنت الحارث ترقص ولدها عبد الله بن العباس فتدعو على نفسها بالموت إن لم يكن مقدرًا لابنها أن يكون سيد قومه:

تكلت نفسي .. وتكلت بكري إن لم يسد فهاً وغير فهير
بالحسب الوافي .. وبذل الوفر حتى يُواري في ضريح القبر

وهذه هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ترقص ولدها معاوية وكأنها ترضعه تنبؤاتها في المستقبل:

إن بُني مُعرق كريم محبب في أهله حليم
ليس بفحّاش ولا لنيم ولا بطخروور ولا شئوم
صخر بني فهير به زعيم لا يُخلف الظن ولا يخيم⁸

وكانت (منفوسة) بنت زيد الخيل ترقص ولدها حكيم من دريد بن الصمّة.. فتدعوه

⁸ - الطخروور: الضعيف غير الجلد - يخيم: يجبن - وصخر بنى فهير: هو صخر بن حرب أبو سفيان والد معاوية.

إلى التشبه بأبيه أو أخيها في الفروسي والبطولة .. بل كانت ترى أن أباه (زيد

الخيال) أكبر من أن يدرك قدره ابنها .. وفي هذا تقول:

أشبه أخى أو أشبهن أباكأ

أما أبى فلن تنال .. ذاكأ

تقصر عن مناله .. يداكأ

وقد تعدد المرأة إلى المداعبة .. ويصير موقف المراقصة مبتكراً تلقائياً .. كهذا

الموقف الذي يحكى عن جارية الزبير ابن عبد المطلب حينما رقص جماعة من

أولاده .. فدخلت عليه الجارية تقول: مدحت ولدك وبني أخيك .. ولم تمدح ابني

"مغيثاً" .. فقال الزبير: علىّ به عجليه، فجاءت به .. فأنشده مراقصاً:

وإن ظني بمغيث إن كبر

أن يسرق الحج إذا الحج كثر

ويوقر الأعيار من قرف الشجر⁹

ويأمر العبد بليل يعتذر

ميراث شيخ عاش دهرًا غير حر

ومن ترقيص الزبير بن عبد المطلب كذلك .. تلك الأبيات التي رقص بها أخاه

العباس ووصفه فيها بالعفة والكرم والوفاء والشرف:

إن أخى عباس عفّ ذو كرم

⁹ - الأعيار: الخطوط البارزة فى وسط ورقة الشجرة - قرف الشجرة: قشرها.

فيه عن العوراء إن قيلت صَمَمٌ

يرتاح للمجد ويوفي بالذَمَمُ

وينحر الكوماء في اليوم الشَّيْمُ¹⁰

أكرم بأعراقك من خال وعم

أما ترقيص البنات.. فقد أنتشر كذلك في البيئة العربية.. حيث كان العربي يتمنى

لابنته ما يتمناه للحسان حينما يكبرن.. ومن هذا ما قاله عربي يرقص ابنته:

كريمةً يحبها أبوها

مليحةً العينين عذباً فوها

لا تحسن السبَّ وإن سبُّوها

وكأنه يمهد لها عند من لا يعرفها بصفات تؤهلها لحياة طيبة مع زوجها فهي حسنة

ء طيبة الريح عذبة الفم كريمة النفس والخلق.. تُرضي زوجها من قبل ومن بعد..

وقال الزبير بن عبد المطلب وهو يرقص ابنته أم الحكم فيشبهها بالطبي:

يا حبذا أم الحكم

كأنها ريم أحم

يا بعلها ماذا يشم

ساهم فيها فسهم

وهذه أم تتكى على ترقيص عذبة لابنتها الصغيرة لتقول من خلالها شيئاً لزوجها..

¹⁰ - الكوماء: الناقة لأن لها سناما .. اليوم الشيم : المقصود به اليوم الذي لا خير فيه.

فقد روى أن أعرابياً يُدعى أبا حمزة الضبي كان قد هجر امرأته .. لأنها لا تلد الذكور فكان يقيم ويبيت عند بعض الجيران .. ومر يوماً بخباء امرأته فوجدها ترقص ابنتها بهذه الكلمات التي رقت قلبه.. فولج البيت بعدها وقبل رأس امرأته وابنته وعاد إلى بيته:

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظلُّ في البيت الذي يلينا
غضبانَ أن لا نلِدَ البنينا
تا الله .. ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أُعطينا
ونحن كالأرض لزراعينا
نُنبتُ ما قد زرعوه فينا

وقد سادت البيئة العربية . جاهلية وإسلاماً . نماذج متفرقة من هذه الأشعار أو الأراجيز أو الأغاني التي يرقص بها الآباء والأمهات الصغار . وقد مر بنا كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم - نفسه - يرقص الحسن والحسين بكلمات قليلة وهو سعيد باللعب معهما بل إن النبي نفسه قد رقصته أخته (شيماء) في بادية بني سعد بهذه الأبيات:

يا ربنا أبق لنا محمدا
حتى أراه يافعاً وأمردا

ثم أراه سيّداً مسوّداً
واكبّت أعاديه معاً والحسداً
وأعطه عِزاً يدوم أبداً

ومثل هذه النماذج على ما يبدو من كثرتها . لا تمثل تياراً في الشعر العربي .. على الرغم من أهميتها في تربية الصغير .. ربما لأن مؤرخي الأدب قد شغلهم تدوين الشعر العربي الرصين عن أن يدوّنوا هذا اللون الذي يُعد بحق سبقاً في آداب العالم . وهذا الإهمال في التدوين كاد يطفئ ملامح صورة الشعر الذي يقدم للصغير .. ويستمتع به ويصمت عن بكائه إذا أنصت وأصغى إليه .. ذلك أن الحس الجمالي .. والتذوق الفني لدى أولاد العرب الصغار قد أنشأهم على حب التأمل .. وعلى محاولة تقليد الكبار في قرض الشعر في أحيان كثيرة أهملها أيضاً المؤرخون . مما سوف نعرض له فيما بعد ..

ولو أننا أمعنا النظر في مثل هذه المقطوعات لوجدناها . مع سهولة إيقاعها . تلتزم لغة العرب التي كان الشعراء الكبار يكتبون بها أروع قصائدهم .. لكن يبدو أن المؤرخين قد ظلموا زمناً طويلاً يستهينون بإيقاع الرجز . مما أهملت معه تلك النماذج . فقد اختلف عليه النقاد والمؤرخون وأخرجه الكثيرون من فن الشعر .. حتى أن أبا العلاء المعري . نفسه . عندما صور جنته في رسالة الغفران وأدخل فيها الشعراء .. لم تطاوعه نفسه المتأثرة بالتراث القديم أن يدخل الرُّجاز في جنة

الشعراء .. فأفرد لهم جنة خاصة جعل بيوتها أحطَّ وأقل درجات من قصور جنة

الشعراء.!

غير أن الحقيقة التاريخية تؤكد أن الرجز أقدم ألوان الشعر التي عرفها العرب.. ويرى المستشرق (جولد تسهير) أن الرجز نشأ عن السجع بعد أن أخضع للوزن.. على حين يرى المستشرق (هارتمان) أننا يمكننا أن نُرجع إلى الرجز خمسة وعشرين بحرًا من البحور المستحدثة، ذلك أن العرب سموه كذلك من الرجز الذي يعترى الناقة أو البعير . وهو أرتعاد في الأفخاذ والمؤخر عند القيام . وفي هذه الحالة يتصل الرجز بالحداء .

وربما ضاعت هذه النماذج . الترقيصات . وغيرها من الرجز العربي لأن كثيرًا منها كان يقال أرتجالاً دون إعداد سابق مما صعب حفظه أو تدوينه . فيما بعد! وبالرغم من كل هذا فإن ترقيص الأطفال كان فنًا ماثلاً من فنون الشعر العربي.. عرفه العرب وأبدعوا وأجادوا فيه.. كعنصر من عناصر التربية النفسية والجمالية للصغار.. كما يمكننا كذلك أن نؤكد بكثير من الأرياح أن هذه الترقيصات كان يؤديها الكبار إلى أبنائهم أو بناتهم.. مصحوبة بمناغاة خاصة أو ربتٍ على صدر الصغير.. أو هزٍّ لمهده.. مما يجعله سعيدًا بما يسمع دون أن يتبين معاني ما يسمع . أكتفاءً بما تُحدثه الأبيات من إيقاعات وأنغام تلمس وجدان الصغير لمسًا حميمًا ممتعًا. لكن.. الأمر بطبيعة الحال يختلف حينما يتعرف الطفل على اللغة تعرفًا

حقيقياً.. ولنا معه وقفة أخرى بعد قليل.

(ب) أغاني الألعاب عند العرب:

الطفل بطبيعته يميل إلى اللعب . منفردًا أو مع أقرانه . ويميل إلى ممارسة ألوان مختلفة من الألعاب الرياضية، حتى أن الإسلام يدعو إلى تعليم الأولاد الرماية والسباحة وركوب الخيل. والطفل العربي قد وجد لعبته في بيئته الصحراوية.. يستمد منها أدواته وأفكاره المبتكرة وهي كثيرة في التراث العربي¹¹.. وكتب عنها كثيرون مثل أبو إسحاق الشيرازي وغيره.

أما ارتباط الألعاب بالشعر.. فالتراث العربي حافل بهذه النماذج التي قالها شعراء كبار في أعمارها الصغيرة.. أو الكبيرة.. فصارت مثلاً أو صارت أغاني تنشد في أثناء ممارسة اللعبة.. ومن هذه الأمثلة قول امرئ القيس في لعبة الزحلوقة (الأرجوحة):

لمن زُحْلُوقَةٌ زَلُّ

بها العينان تتهلُّ

ينادي الآخر.. الأُلُّ

ألا حلُّوا.. ألا حلُّوا¹²

ويفسر المفضل قول امرئ القيس (الأحلووا) بأن هذا معنى لعبة الصبيان، إذ

¹¹- انظر تفصيل ذلك في كتاب (لعب العرب) - أحمد تيمور باشا - دار نهضة مصر - القاهرة 1977.

¹²- لاحظ بقاء مفردة (حلوا) إلى العصر الحديث على ألسنة الأطفال.

يجتمعون فيأخذون خشبة . فيضعونها على كومة رمل.. ثم يجلس على أحد طرفيها جماعة.. وعلى الطرف الآخر جماعة .. فأى الجماعتين كانت أكثر .. ارتفعت الأخرى.. فينادون أصحاب الطرف الآخر (ألا حَلُّو) أي خففوا عن عددكم حتى نساويكم في التعديل.. وهكذا!

وهناك لعبة أخرى تسمى (الْحَدْبَدْبِي) .. ويعتقد أنها يُكني بها عن الرغبة في تجميع الصبيان للاستماع إلى قصة أو قصيدة شعر .. أو لبداية لعبة أخرى: ومن هذه الكتابات ما قاله راجز:

حَدْبَدْبِي بَدْبَدْبِي منك الآن

استمعوا أنشدُكُمْ يا صبيان!

أما وصف هذه الألعاب شعرًا فهو كثير . وليس هذا مجاله . إذ استخدمها الشعراء كثيرا في أغراض الهجاء والفخر وغير ذلك مما يلائم الموقف.

(ج) الحُداء:

لم يكن الحادي شاعرًا محترفًا لدى العرب.. لكنه كان أقدر عليه من غيره على أن يسلي أفراد القافلة.. وأحيانًا كان يستعين بالصبيان في ترديد حدائه. وأغراض الحُداء كثيرة.. وكلها تتعلق بحالة السفر وما تفرضه هذه الحالة من تذكر الديار.. والأولاد.. ووصف الصحراء والليل.. والشوق والحنين.. وقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جعل في بعض أسفاره حاديًا للرجال

هو البراء بن مالك.. وآخر للنساء هو أنجشة.

وكان الحادي . مثل المرقص لأطفاله . يرتجل غالبًا ما يقوله دون إعداد سابق.. بما

يوحى به الموقف.. في كلمات سهلة ميسورة تسر الكبار والصغار معًا.

وقد اشتهر عن عبد الله بن رواحة هذه الكلمات حينما أخذ بخطام ناقة الرسول

الكريم وهو داخل مكة في العمرة التي قام بها بعد صلح الحديبية بعام.

خَلُّوا بني الكفارِ عن سبيله

يا رب أني مؤمن بقبله

أعرف حقَّ الله في رسوله

وهذا الفن نستطيع أن نضيفه إلى ما يمكن أن يُربي عليه أطفال الإسلام.. لسهولة

معانيه وطلاوة ألفاظه.. بل نكاد نجد هذا المثل الخالد الذي لا يزال يعيش في

وجدان.. المسلمين جيلًا بعد جيل يذكرنا بالهجرة الشريفة.. فلا نحيد كثيرًا عن هذا

الظن.

طلع البدرُ علينا

من ثنياتِ الوداعِ

وجب الشكرُ علينا

ما دعا لله داغِ

أيها المبعوثُ فينا

جئت بالأمرِ المطاعِ

جئت شرَّفَتِ المدينة

مرحبًا يا خيرَ داع ..

(د) وصايا الآباء للأبناء:

كان العرب أول ما يفعلون مع أولادهم حينما يدركون .. أن (يسمعوهم) الوصايا والمواعظ التي تضيء لهم طريق حياتهم..ومنذ كتب الحكيم لقمان وصاياه .. وكل الشعوب لها آثارها من الوصايا.. ولم يتخلف العرب عن ذلك، بل نجدهم قد أكثروا من ذلك حرصًا على تربية النشء على القيم الصالحة.

وقد تكون الوصايا نثرية.. وقد تكون شعرية . والنثرية أكثر. كما يمكن أن نجد أكثر من لون من الوصايا.. بعضها مباشر.. وبعضها معاتب.. وبعضها يرغّب وبعضها يرهّب. فهذا أمية بن أبي الصلت يعتبر على ولده بقوله:

تعلُّ بما أسعى عليه وأنهلُ	غَدَوْتُكَ مولودًا وعلتُكَ يافعًا
بشكواك إلا ساهرا أتململ	إذا ليلةٌ جاءتكَ بالشكو لم أكن
طرقتُ به دوني فعيني تهملُ	كأني أنا المطروقُ دونك بالذي
لتعلم أن الموتَ وقتٌ مؤجلُ	تخافُ الردي نفسي عليك وإنها
إليها مدى ما كنتُ قبل أُومِلُ	فلما بلغت السنَّ والغاية التي
كأنك أنت المنعمُ المتقضِلُ	جعلت جزائي غلظةً وفضاظةً
كما يفعل الجارُ المجاورُ . تفعلُ	فليتكَ إذ لم ترعَ حقَّ أبوتي

إننا نستطيع هنا أن نتلمس الوصية والحكمة والنصح بطريقة فنية غير مباشرة.. وهذه ميزة مهمة من ميزات الشعر العربي، إذ تُمكن اللغة الشاعر . بما تحمل من

إيحاءات وصور ومترادفات . أن يغوص إلى جوهر المضمون . دون أن يلمس سطحه فتتفر منه الأذن ويعافه الوجدان . وفي إيجاز شديد يقدم سفيان بن عيينة هذه الكلمات إلى ولده ..

بني إن البرَّ شيء هينٌ وجّه طليق .. وكلامٌ لينٌ

وهذا ابن سعيد المغربي . أحد شعراء القرن السابع الهجري . يوصى ولده وقد أراد السفر فيقول:

أودعك الرحمنُ في غربتكُ	مرتقبًا رحماه في أوبتكُ
فلا تُطلنْ حبلِ النوى إنني	والله أشتاقُ إلى طلعتك
واختصر التوديع أخذًا فما	لي ناظرٌ يقوى على فُرتكُ
واجعل وصاتي نصبَ عين ولا	تبرخْ مدى الأيام من فكرتكُ
خلاصةُ العمر التي حُنكتُ	في ساعةٍ زُفتْ إلى فطنتكُ
فلا تتمْ عن وعيها ساعةٌ	فإنها عون إلى يقظتكُ
وامشِ الهوينيَ مظهرًا عفةً	وابغِ رضا الأعين عن هيئتكُ
واعتبرِ الناسَ بألفاظهمْ	واصحبْ أخًا يرغب في صحبتكُ

والقصيدة طويلة تكاد لا تترك شيئًا يصلح أن يكون وصية إلا جاءت به ..
وعلى هذا النحو أيضًا يسير عبدة بن الطبيب (المتوفي سنة 39 هـ) فيقول:

أبنيّ إني قد كبرت ورايني
بصري وفيّ لمنظرٌ مستمتعُ

أوصيكم تقوى الإله فإنه

يُعطي الرغائب من يشاء ويمنع

وكثير من الوصايا النثرية تتضمن الشعر أيضًا.. ليكون قاسمًا مشتركًا في تربية
الطفل على الذوق السليم والحكمة والقيم العليا.

ومن هذه الوصايا التي تجمع بين الشعر والنثر.. وصية يعرب بن قحطان إلى بنيه
.. حيث أخذ يوصيهم ويوصيهم حتى أنشد في نهاية كلامه:

بَنِي أَبوكُم لَم يَغْدُ عَمَا بَه وَصَّاه قَحطَانُ بَنُ هودِ

فوصَّاكم بما وصَّى أباكم أبوهُ عن أبيه عن الجدودِ

أذيعُوا العِلْمَ ثم تَعَلَّمُوهُ فما ذو العِلْمِ كالكلِّ البليدِ

ويسوق كثيرًا من التعاليم والوصايا المفيدة..وتكاد تشي هذه الوصية بأمر مهم، هو
أن العرب منذ وجدوا على ظهر الأرض وهم يتوارثون الوصايا والعلم والخلق
الطيب.. بما جعلهم خير أمة أخرجت للناس.

وشاعر مثل طرفة بن العبد (543 . 569م) أنطقته الحكمة وهو صغير .. ومكث
يضرب الأمثال وينشد الوصايا وكأنه خبير بالحياة خبرة الشيخ الحكيم.. ومن أمثاله
ووصاياه:

والشرُّ أخبثُ ما أوعيت من زاد والخير خيرٌ .. وإن طال الزمانُ به

وأيضاً:

خالطِ الناسَ بخلقٍ واسعٍ لا تكن كلبًا- على الناسِ تهر

كما تدل الأبيات التالية على سعة أفق .. وحكمة اجتماعية عميقة:

إذا كنت في حاجة مُرسلاً فأرسل حكيمًا ولا توصه

وإن ناصح منك يومًا دنا فلا تتأ عنه ولا تُقصه

ولا تذكر الدهر في مجلسٍ حديثًا إذا أنت لم تُخصه

الأطفال والشعر المعاصر

سوف نتناول هنا أهم التجارب.. فنحاول أن نلم بخصائصها وتأثرها بالثقافات المعاصرة . كلما دعاناذلك . ثم نفرد لشعر الحيوان جانبًا خاصًا باعتباره أشهر هذه التجارب على الإطلاق.. عائدین القهقري إلى جذوره.. في العربية وغير العربية.. وأعتقد أن القارئ . لا يختلف معي . بعد رحلتنا الطويلة السابقة . على أن عصرنا هذا . عصر التخصص الدقيق . قد انسحب أيضًا على عالم الأدب .. بل يظهر واضحًا في الشعر خاصة.. حتى نجد هذا الأدب الذي يخصص للأطفال.. وذلك الأدب الذي يخصص للشباب.. وربما الأدب الذي يخصص لمراحل أخرى بعد الشباب.

ولن نستطرد طويلاً في تشخيص هذه الصورة.. فهي ماثلة أمام أعيننا لا تحتاج إلى دليل مقنع.. خاصة ونحن نرى هذا (الأنشطار) اللغوي الذي نعاني منهم كل يوم وكل ساعة . فلغة فصحي في كتب الأدب المكتوب . ولغة وسطى في الصحافة . ولغة ليس لها ملامح في الوسائل المسموعة والمشاهدة.. ولغة (سوقية) في الشارع. ثم يحار أطفالنا بين تلك اللغات (أو اللهجات) كلها وهو يتراوح بين مدرسته وبيته وشارعه.. ليس هنا مجال لبحث هذه القضية.. حتى لا ننصرف عن خطنا الذي بدأناه.. ومكتنا طويلاً نكتشف طرقه ومجاهليه إلى أن وصلنا، أو قفزنا إلى الشعر

المعاصر.. والشعر المعاصر هنا يبدأ مع الأطفال من منتصف القرن الثامن عشر .. بعد أن تغيرت النظرة إلى الطفل على أيدي علماء التربية المعاصرين .. وقد يكون بدأ في مناطق أخرى من العالم منذ قرون ثلاثة . على يد شعراء أوروبيين . نحاول الآن أن نمر بهم مروراً سريعاً . بقصد التعرف عليهم .. وعلى إبداعهم .. وما إذا كان لهم تأثير في إبداعنا أم لا .

أدب الأطفال المعاصر:

يمكن القول إن قصص الأطفال هي اللون الوحيد الذي يتسم بالعالمية.. ذلك أنها يسهل نقلها من لغة لأخرى كما كتبها مؤلفها على حين يختلف الأمر بالنسبة للشعر الذي يصعب ترجمة الإحساس إذانجح المترجم في نقل المعنى.. ولا شك أن الطرف الآخر من العالم قد سبق الشرق إلى النقاط الخيط وكتابة أدب الأطفال المعاصر.. إن.. لافونتين (1620 . 1696): وحكاياته . التي استمد أكثرها من كليسة ودمنة وإيسوب . ولقمان . يقف في مقدمة من كتبوا الشعر للأطفال . وجريم: الألماني الفقيه اللغوي كتبت له حكاياته الشعبية شهرة لا تقل عن شهرة أبحاثه اللغوية .

وخوان رامون خمينث: الشعر الأسباني الذي حصل على جائزة نوبل عام 1956 لم تصرفه أحداث عصره عن كتابة ملحمة الشعرية (أنا وحماري) فكانت قمة من قمم الأدب الأسباني على لسان حمارة الفضي (بلا تيرو) وهو يطوف أسبانيا فيتأمل الوردة والفراشة والتل والشروق والغروب وكل المشاهد الأخرى.. بل أوجد

تيازًا لشعر الصغار ارتاده شعراء أسبانيا فيما بعد.

وطاغور: شاعر الهند العظيم يخصص أكثر من ديوان للأطفال، ينخلع فيه من دنيا الكبار ليعيش مع.. الأطفال في حبهم وخيالهم ولعبهم ويوشك أن يكون الطفل لديه رمزًا للحياة الخالدة، بل نجده يطبق ذلك عمليًا، حينما ينشئ طاغور عام 1901 مدرسته الصغيرة ببعض الصبية ليضع لهم نظامًا يوميًا دقيقًا من التربية العقلية والروحية.

وفي مجال الشعر كذلك كتب وليم بليك . أغاني الأبرياء . (1789) وكتب إدوار لير . الأغاني التوفيقية عام 1846 . وفي ألمانيا يكتب هو فمان أغاني للأطفال عام 1846 أيضًا.

أما لويس كارول فقد اشتهر بكتابه: أليس في بلاد العجائب.. لكنه كتب أشعارًا للأطفال عام 1865.. إلا أنها لم تستطع أن تحظى بشهرة كتابه (أليس في بلاد العجائب) ويكتب كبلنج كذلك كتاب الأدغال عام 1894.. وكان من عادته أن يستهل قصصه بالشعر.. وكذلك ساهم بدواوين شعرية خاصة للأطفال..

أما الشاعر كارل ستانديبيرج فقد كتب أغاني مستمدة من الطبيعة تحت اسم (Fog) أي الضباب.. وهو يقصد تقلبات الطبيعة ومعطياتها المختلفة.

وحاول روبرت فروست في أمريكا كتابة الشعر للأطفال. حتى ت. س إليوت كتب عام 1939 (القطط العمياء) لكنه لم يحز على أية شهرة، ربما لأن شهرته كشاعر

وناقذ ومفكر؁ طغت على ما عداها من أنشظة أدبية أخرى؁ إلى جانب أن عقله الأكاديمي وثقافته الرفيعة وفلسفته العميقة لم تتح له المقذرة على مخاطبة الأطفال بالبساطة اللازمة.

وقد اهتم العلم الأوربي والأمريكي (بأغاني المهذ) التي تعتمد أساسا على عنصرى الموسيقى وتكرار المفردات (بمعنى أو بغير معنى) بحيث تكرر بمناغاة وانتظام مما يجعل الطفل مستمتعا بإيقاعاتها فحسب. وكلما ترقى الطفل في سني عمره قُدم له شعْر مناسب.. يتضمن الخيال والفكاهة والفولكلور والأغنية التوفيقية.

وينكزنا هذا التصور بما كان عليه العرب مع أولادهم حينما قُدموا إليهم وهم في دور الطفولة. أهازيج الترقيص. حتى إذا شَبُوا وأدركوا دخلوا في عداد الكبار. لكن يبدو أن الأمر هنا مختلف بعد هذه السن المبكرة؁ حيث يتحسس المرَبون الطريق.. إلى عقلية الطفل بحذر شديد.. فيقدمون إليه في كل مرحلة من مراحل ما يتوافق مع إدراكه وفهمه¹³.. على حين كان القدماء أشجع وأقدر منا على الاقتراب من عقلية الطفل كما رأينا.

أما في مصر المعاصرة فلا نستطيع أن نغفل كُتاب الأطفال الذين اقتربوا من ذهن الطفل؁ كلُّ بما استطاع.. وهم كُثر.. لا نستطيع أن نتجاهل أدوارهم.. ومنهم.. رفاعة رافع الطهطاوي صاحب كتاب (المرشد الأمين للبنات والبنين) وواضح من

¹³ - انظر (مدخل عام إلى أدب الأطفال) من هذه الدراسة.

عنوان هذا الكتاب أنه جاء في صورة إرشاد للتلاميذ في مدارس وزارة المعارف.. يدل على ذلك ما جاء في مقدمته (خطبة الكتاب): "صدر لي الأمر الشفاهي من ديوان المدارس.. بعمل كتاب في الآداب والتربية يصلح لتعليم البنين والبنات على السوية.. فشمرت عن ساعد الاجتهاد.. وعملت هذه المجموعة التي جاءت على وفق المراد.. لم تدع في هذا لعين المتمنى مطمئاً ولا لقوس الاقتراح منزعاً زُفَّت إليها أباكر المعالي.. إلخ".

ومن موضوعات هذا الكتاب: مقدمة في بيان تربية الأطفال.. والعقيدة الدينية وفضائل الذكور على الإناث.. والتعلم والتعليم.. والمدارس والمطالعة.. والعلاقة بين الفنون الأدبية والعلوم الأخرى.. والوطن.. والوطنية.

وواضح أن هذا الكتاب . وإن اعتبره الكثيرون علامة أولى على درب التعليم . إلا أنه لا يعتبر أدب.. أطفال بالمعنى العلمي.. خاصة في ضوء المفهوم المعاصر.. الذي ينحى النصائح والإرشادات..المباشرة جانباً.. وربما نُظر إليه على أنه عمل مفيد لتعديل سلوك الأطفال وإرشادهم.

لكن ما كتبه محمد عثمان جلال.. وعبد الله فريج.. وأحمد شوقي.. ومحمد الهراوي..وكامل الكيلاني..وغيرهم.. فنحن نستطيع أن نضعه بارتياح شديد في أدب الأطفال؛ أنها إضافات حقيقية في هذا المجال.

ولكي نقف على ما يهمننا في هذا المجال . الشعر . فسوف نتناوله في محورين كبيرين: شعر الحيوان . والشعر الذي يتناول مضامين مباشرة تتعلق بحياة الطفل

وقيمه وسلوكه.

شعر الحيوان:

سوف نصاب . في الشعر العربي المعاصر أبرز صوتين كتبا شعر الأطفال على السنة الحيوان هما الشاعر محمد عثمان جلال (1838 . 1898م) . والشاعر أحمد شوقي (1870 . 1932) .. وسنحاول كذلك أن نتحدث عن ملامح التأثر والتأثير بالنسبة لكل منهما .. ثم نتناول صوتًا ثالثًا أقل تأثيرًا في هذا المجال .

والحق يقال إن الحكاية على لسان الحيوان . وأيضًا الشعر الذي يتحدث عن الحيوان قديمة في كل الآداب العالمية .. وهي عند العرب كذلك قديمة .

لقد عرف هذا اللون في حضارة مصر القديمة .. إذ يعتبر المصريون من أسبق الشعوب إلى هذه الحكايات حيث يرجع تاريخ (حكاية السبع والفار) التي وجدت على أوراق البردي، إلى (القرن الثامن عشر قبل الميلاد) على حين ترجع خرافات إيسوب في اليونان إلى (القرن السادس قبل الميلاد) .. وبعض المؤرخين يرى أن الهند قد كتبت أيضًا حكايات الحيوان . في حكايات تناسخ بوذا . !

بل نجد علاقات الإنسان بالحيوان . ومنه الطير كذلك . تبدأ منذ وطئ آدم الأرض .. فغراب قابيل علمه كيف يوارى سوءة أخية، وإبراهيم عليه السلام قد اطمأن قلبه حينما نادي على الطير الميت فجاءت طائرةً إليه، وكبش إسماعيل عليه السلام قد

أنقذه من الموت المحقق، وحث يونس قد حفظه حيناً ثم أخرجه حيّاً، وبقرة بني إسرائيل كانت معجزة بين أيديهم، وحمار العُزَيْر وكلب أهل الكهف يؤكدان قدرة الخالق العظيم على إحياء الموتى، وعنكبوت الغار يحفظ محمداً عليه السلام من بأس أعدائه ولم يكن العرب بعيدين عن إطار هذه العلاقة.. فقد شاركهم الحيوان جُلهم وترحّالهم.. وطرادهم وغزواتهم .. وليلهم ونهارهم .. فمنهم من أنس إلى الحيوان ومنهم من نفر منه..

كما أن كثيراً من مفكري العرب وعلمائهم قد اهتموا بالحيوان.. فوضعوا له مؤلفات نادرة أشهرها كتب: للجاحظ.. والدميري . والقزويني . والسجستاني . والأصمعي.. وغيرهم..

أما الشعراء.. فقد جعلوا الحيوان مادة من مواد تجاربهم يستقون منها كثيراً من الموضوعات أو المعاني التي تثري القصائد.. وتؤكد معرفتهم بالحيوان وسلوكه. ويضيق بنا المقام لو حاولنا الإحاطة بما قاله الشعراء في الحيوان.. ونكتفي فقط بإيراد بعض الأمثلة التي تؤكد هذه النظرة. فقد امتلأت كتب الأدب بمثل هذه الأشعار التي لا تقع تحت حصر.

ومن ذلك مثلاً ما قاله حُميد بن ثور الهلالي في وصف الذئب:

ونمت كنوم الذئب في ذي حفيظةٍ أكلت طعاماً دونه وهو جائعُ

ينامُ بإحدى مُقلتيه.. ويتقي بأُخرى الأعداي فهو يقظان هاجعُ

أما الديك فقد أجاد أبو بكر الصنوبري في وصفه ومدحه حين قال:

مغرُدُ الليلِ ما يألوك تغريدا

ملَّ الكرى فهو يدعو الصبحَ مجهودا

لما تطرَّب هزَّ العطف من طربٍ

ومدَّ للصوتِ لما مدَّه الجيِّدا

كلابسٍ مُطرفًا مُرخٍ ذوائبه

تضاحكُ البيضُ من أطرافه السودا

حالي المقلد لو قيستُ قلائدهُ

بالورد قصرَ عنها الوردُ توريدًا

أما أبو نُواس.. فله قصائد كثيرة يصف فيها الثعلبَ وكلب الصيد .. والديك والفهد

والصقر وغيرها.. وأحيانًا يكتب رثاء فيها حينما يألُفها ويفقدُها بالموت.. فهذه أبيات

من قصيدة له يرثي بها كلبًا لسعته حيَّةً فمات.. يقول فيها..

يا بؤس كلبِي سيِّدُ الكلابِ

قد كان أغناني عن العقابِ

وكان قد أجزى عن القصابِ

وعن شراءِ الجلبِ الجلابِ

يا عينُ جودي لي على حلاب

مَنْ للظباء العُفر والذئابِ

ثم ينتقل إلى وصف ما حدث له من الحيّة إلى أن يصلَ إلى هذه الأبيات:

فعلقتُ عرقوبَه بنابٍ لم ترعَ لي حقًا.. ولم تُحَابِ

فخرٌ وانصاعت بلا ارتيابٍ كأنما تتفخُ من جرابِ

لا أبتُ إن أبتِ بلا عقابِ حتى تذوقي أوجعَ العذابِ

ويصف شاعر آخر الطاووس بقوله:

سبحان مَنْ مِنْ خلقه الطاووسُ

طيرٌ على أشكالِه رئيسُ

كانّه في نقشِه .. عروسُ

في الريش منه رُكبتُ فلوسُ

تشرقُ في داراتهِ شمسُ

في الرأسِ منه شجرٌ معروسُ

كانّه بنفسجٌ .. يمسُ

أو هو زهرُ حرمِ يبيسُ

بل أخذ بعض الشعراء مادة الحيوان للألغاز والفكاهة.. كقول أحد الشعراء ملغزاً

عن الفيل:

ما اسم شيء تركيبه من ثلاثٍ

وهو ذو أربع تعالي الإله

قيل تصحيحه .. ولكن إذا ما

عكسوه يصير لي ثلثاه

وهذا أبو إسحاق لصابي قد ألف الببغاء.. وتعرّف على ما تفعله من محاكاة وإمتاع

لصاحبها، وهى بين سجن قفصها الحديدي. فكتب فيها يقول:

ألفيتها صبيحةً مليحةً ناطقةً باللغة الفصيحة

عدت من الأطيّارِ واللّسانِ يوهمني بأنها إنسان

تُتهى إلى صاحبها الأخبارا وتكشف الأسرار والأستارا

بكماءٍ إلاّ أنها سمّيعه تُعيد ما سمّعه . طبيعة .

زارتك من بلادها البعيدة واستوطنت عندك كالفعيدة

ضيفٌ قراه الجوزُ والأرزُ والضيفُ في إتيانه يُعزُّ

تراه في منقاره الخلوقي كلؤلؤ يلقط بالعقيق

تنظرُ من عينين كالفضّين في النورِ والظلمةِ بصّاصين

تميسُ في حلتها الخضراءُ مثل الفتاة الغادة العذراءُ

خريذةٌ خدورها الأقفاصُ ليس لها من حبسها خلاصُ

تحبسها ومالها من ذنبٍ وإنما ذاك لفرطِ الحبِ

والذي نلاحظه على هذه الأشعار، أنها لا تقل جودة ولا فنية عن ألوان وأغراض الشعر الأخرى التي يكتبها الشعراء.. وأن الصغار والكبار كانوا يستمتعون بها.. فلم تكتب خصيصةً للصغار.. لكنها كتبت بمفهوم عصورهم على حين من الممكن أن يعاد تقديمها اليوم في ثوب جديد¹⁴.

فإذا ما انتقلنا إلى عصر ابن المقفع (724 . 759م). فنحن أمام نقلة أخرى في أدب الحيوان أحدثها ترجمة كتاب (كليلة ودمنة) إلى العربية.

إن نظرة فاحصة خلال ما كتبه الشعراء والأدباء عن الحيوان في الأدب العربي قبل نقل (كليلة ودمنة) تبين لنا ظاهرة مهمة هي أن الشعراء قد جعلوا الحيوان مادة (وصفية) في أشعارهم أو ركنًا من أركان التشبيه والتصوير والتمثيل.. ومثل هذا كان تيارًا قويًا تزعمه كثيرون من الشعراء الوصافين مثل ذي الرمة والبحتري وغيرهما.. ولم نعثر على حكايات يرويها الحيوان وتتخذ منها الحكمة أو الرمز أو العبرة أو القيم إلا نادرًا.

لكن الأمر قد تحوّل، أو لنقل، أضيف إلى فن وصف الحيوان والحديث عنه فن آخر هو فن (الحكاية على أسنة الحيوان).. ويعترف كثير من مؤرخي الأدب بأن

¹⁴- لقد بدأ المؤلف فعلا تجربة إعادة تقديم نماذج من أشعار القدماء التراثية في أغراض مختلفة للأطفال تحت عنوان (ديوان الطفل العربي).

القِصص على لسان الحيوان قد اتخذت لها رافداً في أرض الأدب العربي منذ نُقلت (كليلة ودمنة).. وما سبق من محاولات في هذا الصدد كانت عفوية أساسها شرح بعض الأمثال العربية، أو أنها مقتبسة من كتب العهد القديم وغير ذلك.. وهى قليلة نادرة لا تمثل ظاهرة.. وحينما قام ابن المقفع بنقله نثرًا إلى العربية .. ترجم مرة أخرى على يد (عبد الله بن الأهوازي) بتكليف من (جعفر البرمكي) .. كما نظمه شعراً . وهذا له أهميته الخاصة . (أبان اللاحق) .. وحاكاه في ذلك شعراء كثيرون مثل (سهل بن نوبخت) .. وغيره.

وفُتح الباب لمحاكاة (كليلة ودمنة) على مر العصور..ومن ذلك أن سهل بن هارون ألف كتابه (ثعلة وعفراء) على غراره .. وحاكاه كذلك داود سهل بن هارون في كتاب (النمر والثعلب) . كما نسج (إخوان الصفا) رسائلهم على منوال (كليلة ودمنة) . وقد نقلوا هذا الجنس الأدبي من الميدان الاجتماعي والسياسي إلى الميدان الفلسفي فألفوا محاكمة طويلة بين الإنسان والحيوان أمام ملك الجان.¹⁵ ثم جاء أبو العلاء المعري عام (449هـ) في كتابيه: (رسالة الصالح والباغم)، و(كشف الظنون) ليشير إلى أنه وضع عدة مؤلفات على لسان الحيوان منها (القائف) و (خطب الخيل). و (أدب العصفورين) . إلى جانب (الصالح والباغم).

¹⁵ - يستطيع القارئ الرجوع إلى كتاب (الحكاية على لسان الحيوان في شعر شوقي) د. سعد ظلام - مطابع دار التراث العربى فقد ألم المؤلف بكثير من القضايا التى تتعلق بموضوع شعر الحيوان .. وقد رجعنا إليه كثيرا فى هذا المجال.

وقد سبق كُتابُ الغرب إلى الاستفادة من هذه الآثار العربية . وغير العربية . وكتبوا على منوالها حكايات على أفواه الحيوانات، أحدثت أثرًا طيبًا في عالم الأدب . وأول من فعل ذلك عن قدرة فائقة . لافونتين الفرنسي . وهو يقرّر ويعترف أنه استقى حكاياته من مصدرين كبيرين هما: كليلة ودمنة . وخرافات إيسوب .

محمد عثمان جلال:

لم يتتبه أحد من العرب إلى هذا الفن قبل منتصف القرن التاسع عشر حين كتب محمد عثمان جلال كتابه (العيونُ اليواقظ في الأمثال والمواعظ) الذي يشتمل على مائتي قصةٍ شعرية. وكان عثمان جلال يجيد الفرنسية، حتى أن مؤلفاته في جملتها ترجمة عن هذه اللغة وهي تتاهز عشرة مؤلفات بين مسرح ورواية وأقصوصة وأرجوزة.. إلى جانب نظمه ديوانًا من الشعر والزجل والفكاهات.. وجاء في مقدمة كتابه:

"أخذت أترجم في الأوقات الخالية كتاب العلامة الفرنسي الكبير (لافونتين) . وهو من أعظم كتب الآداب الفرنسية المنظومة على لسان الحيوان .. على نسق كتب: الصادح والباغم . وفاكهة الخلفاء .. وسميتها (العيونُ اليواقظ في الأمثال والمواعظ) وتعاقدت مع رجل فرنسي يدير مطبعة من الحجر .. ولكنه أخلف وعده لي .. فجهز ت مطبعة أخرى . وأنفقت عليها كل ما عندي فلما تم طبعها .. عرضتها على العزيز

عباس باشا الأول.. وكان واسطتي إليه المغفور له مصطفى فاضل.. فرمى كتابي في..وجه حامله. فعاد بخُفي حُنين.. فبعث حِماري وبقية ما أملك..وقد ركبني الهم والغم.. إلخ.."

وقد طبع هذا الديوان للمرة الأولى (ما بين عامي 1848 . 1854). وهذا له أهمية تاريخية غير مسبوقه في العصر الحديث . ثم طبع مرة أخرى بعد وفاته بعشر سنين عام1908وأيضًا قررته نظارة المعارف العمومية بمدارسها الابتدائية عام 1894¹⁶.

وباستعراض ما تناوله عثمان جلال نظمًا.. نجده تأثر بمصادر خمسة هي:

1. أعمال لا فونتين الفرنسية . وهي الأعمال التي تأثرت من قبل بكليلة ودمنة

وايسوب.

2. حكايات إيسوب اليونانية.

3. كليلة ودمنة .. العربية.

4. التراث العربي المتناثر في بطون أمهات الكتب العربية.. والحكايات الشعبية

والتراثية المختلفة.

5. رسالة الصادح والباغم.. وفاكهة الخلفاء.. وقصائد أبي نواس، وغيره ممن

وصفوا الحيوان.

وواضح من أغراض الكتابة عن لسان الحيوان . قديمًا وحديثًا . أن الكاتب يتخذها

¹⁶- قام الشاعر عامر بحيرى بتحقيق الطبعة الثالثة من (العيون اليواظظ) وصدرت عن هيئة الكتاب عام 1978 - وأيضًا: انظر الحكاية: د. سعد ظلام ص747.

قناعًا يقول من خلاله ما يشاء.. ويحميه من محاسبة الحاكم إذا هو أراد النصيحة والزجر في إطار من الهزل والجد معًا. وفي هذا حسن تصرف ولباقة وإقناع وتهذيب.. وبُعد عن المساءلة.. تحت ستار الرمز.. وربما كان هذا هو الذي يدعو شعراء اليوم إلى الإيغال في الرمز. لحد الغموض. لشعورهم بعدم حرية التعبير أو أن هناك شيئًا يهدد حياتهم وألسنتهم.. لكن الأستمرار في هذا قد يُبعد المتلقي كثيرًا عن المغزى الذي يقصده الشاعر.. إذ أن الرمزية في الأدب ينبغي أن تكون ضربًا مهمًا من ضروب الفهم والإحساس والإمتاع جميعًا.

ويمكننا أن نقول بارتياح شديد إن عثمان جلال قد نقل. أو عرّب. الحكايات عن لافونتين وألبسها ثوب الروح المصرية.. واللغة العربية القريبة من الاستعمال اليومي. وهذه قدرة لا توفر للكثيرين. وقد أجمع النقاد. ومنهم العقاد وغنيمي هلال. أن ترجمة الكتاب كانت حرة بحيث اختفت فيها معالم الروح الفرنسية.. وظهرت فيها الروح المصرية بوضوح شديد. وهذا فضل يضاف إلى فضل إدخال هذا اللون إلى العربية. وقد سبقه في ذلك ابن المقفع نفسه وهو ينقل عن الفارسية (كليلة ودمنة) فقد أضاف بعض الأبواب إلى أصل الترجمة.. حتى ظن الكثيرون أن ابن المقفع هو واضع الكتاب.. مستوحياً أبوابه من مصادر أجنبية. ومن الحكايات التي أضافها عثمان جلال كذلك إلى مؤلفه، تلك التي تسمى (بني

الفلح) فهي تعبير عن..الحياة الريفية المصرية. كما أنه جعل مسرح حكاياته كثيرًا من المناطق المعروفة في مصر مثل(بولاق) أو المنطقـة العربية كلها كالشام ومصر والحجاز.ولا شك أن القارئ في شوق لقراءة بعض النصوص التي كتبها عثمان جلال.. ولنبدأ معه بهذه القصيدة:

□ "صاحب الدجاجة "

كان البخيلُ عنده دَجاجةُ

تكفيه طولَ الدهرِ شرَّ الحاجةِ

في كلِّ يومٍ مرَّ تُعطيه العَجَبُ

وهي تبيضُ بيضًا من الذهبِ

فظنَّ يومًا أن فيها كنزا

وأنه يزدادُ منه .. عِزًّا

فقبضَ الدجاجةَ المسكينُ

وكان في يمينه سِكِّينُ

وشقَّها نصفينِ من غفلتهِ

إذ هي كالذَّجاجِ في حضرتهِ

ولم يجدْ كنزًا ولا لَقِيَّه

بل رمَّةً في حُجرةٍ مرميةِ

فقال: لا شك بأن الطمعا

ضيّع للإنسان ما قد جمعا

ونلاحظ هنا اختيار المفردة التي توشك . من سهولتها . أن تصبح عامية .. لولا أن

المؤلف يقبض ناصية اللغة باقتدار شديد.

وهذا مثل آخر بعنوان: (الغراب والنسر)

رأى الغرابُ النسرَ مر بالغنم

واختطف الصغير منها واغتم

فأخذته غيرهُ التقليد

وجاء للأغنام من بعيد

وحام كالنسر على الغنيمه

واختار كبشاً عدّ للوليمه

وكان صوفُ الكبشِ في التأسيس

ملبداً كلحية القسيس

فأنشِبَ الغرابُ فيه باعاً

وهمّ للجوّ فما استطاعاً

وبقيت أظافره مغلوله

ولم يجد بُداً لأي حيلة

فأقبل الراعي مع الأولاد
وأمسك الغراب بالأيادي
وقصّها علىّ.. قلتُ: سيدي
ما أضيع البرهان في المقلدِ
ويحكي عثمان جلال كذلك قصة . الأرنب والضفادع . هكذا:
رأيت أرنبًا ذليلاً خائفًا
أوي إلى بيت هناك واختفى
ودام في شغل من الأفكار
في حندس الليل.. وفي النهارِ
حتى عفا.. من همّه وغمّه
ومن أبيه يشتكى.. وأمّه
ولي يقول.. لبيت لم تجدني
وليت أمي قطّ لم تلدني
وكيف لا وعيشه منغص
وكلّ يوم تعتريه الغصصُ
إذ هبّ ريحٌ بفروع الشجر
يزحف منه خائفًا ويجري

ينام لكن عينه يقظانه

وروحه من فزع ملأنة

فجاءه محدث ذو عقل

وقال: ذا خوفٌ بغير أصل

ما هذه الحال.. فقال: خوفٌ

والناس مثلي واحدٌ وألفٌ

إلى نهاية القصيدة التي تدعو إلى شجاعة وتمقت الجبن والخوف. من الصعوبة بالطبع أن نقف على كل نماذج الكتاب دون أن يكون بين أيدي القارئ لكننا حاولنا هنا أن نختار ثلاث نماذج مختلفة، يجمعها حس الشاعر ولغته المبسطة التي لا نكاد نحس إزاءها صعوبة إلا في القليل النادر. وربما يفسر لنا ذلك كيف أصبح الطفل المعاصر مدلاً. بعكس أطفال العصور العربية الأولى كما سبق أن أشرنا. وعلى الكاتبين أن يصلوا إليه بأدب. مغلف. بالبساطة والعذوبة، والمباشرة أحياناً.. والحيلة أحياناً أخرى.. فجاءت نماذج عثمان جلال ومن بعده نثرًا وشعرًا. نماذج القصص والأشعار. يتلمس الكاتبون فيها السبيل بحذر شديد إلى عقلية الطفل الذي أصبح. وهذه حقيقة مرة. يعاف اللغة والتراث والمعاناة.. ويفضل السهل الذي لا يدمي أقدامه ولو بقليل من الإحساس ببشريته. وهذه الصورة قد تضع الكاتبين في مأزق شتى.. منها المباشرة والتقريرية.

وفقدان الإحساس بالجمال . لغة وصورًا ومعنى . فيضحون بكل هذا خشية أن يهزّب منهم الصغير إلى وسائل أخرى تقدم له ما يريد بدون معاناة! لهذا يمكن أن نلتمس العذر لمثل هذه المحاولات الأولى .. التي يريد صاحبها أن تتسلل إلى وجدان الصغير بأي ثمن.. فجاءت مباشرة .. فيها بعض التكلّف على حساب اللغة أو المعنى أو الشعر نفسه . كفن . وتقرب من النثر . أو النثرية . لكن المهم في الموضوع أنها كانت باكورة المحاولات في هذا الصدد كتبت في منتصف القرن التاسع عشر .. فكانت أسبق خطوة إلى وجدان الطفل.

أحمد شوقي:

قدم أحمد شوقي للأطفال بابين في ديوانه هما: باب الحكايات . وديوان الأطفال . وقد كتب شوقي هذه الحكايات ما بين عامي (1892 . 1893) لكنها نشرت في طبعة ديوانه الأول التي صدرت عام 1898م. ومن ثم . وإحقاقًا للحق . فإن محمد عثمان جلال قد سبق شوقيًا في كتابة هذا اللون.. فالثابت أن عثمان جلال قد نشر الطبعة الأولى من (العيون اليواظ) ما بين عامي 1848 و 1854 . أي قبل مولد أحمد شوقي نفسه بنحو خمس عشرة سنة (ميلاد شوقي 16 أكتوبر عام 1870).

ولا بد أن شوقيًا قد تأثر بالطبعة الأولى من (العيون اليواظ) التي صدرت قبل ميلاده، إذ أن الطبعة الثانية منه صدرت بعد وفاة عثمان جلال نفسه بعشر سنوات

(1908) . وبعد صدور أول طبعة من ديوان شوقي أيضًا بعشر سنوات .. وهذه حقيقة تاريخية يهملها الكثيرون .. حتى شوقي نفسه لم يذكر في مقدمته لديوانه في طبعته الأولى أن تأثر ، أو حتى قرأ عثمان جلال ، وإذا سلمنا بأنه لم يقرأه فهذا أيضا مما نعيب به على أحمد شوقي .. إنه يقول في مقدمته :

(وجربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب (لافونتين) الشهير .. وفي هذه المجموعة شيء من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع (أسطورتين) أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين، وأقرأ عليهم شيئاً منها فيفهمونه لأول وهلة .. ويأنسونه إليه ويضحكون من أكثره .. وأنا أستبشر لذلك وأتمنى لو وفقني الله لأجعل لأطفال المصريين، مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتقدمة، منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم.)¹⁷

ثم يقول:

(وإني كنت أتمنى ولا أزال ألوي في الشعر على كل مطلب .. وأذهب من فضائه الواسع في كل مذهب .. وهنا لا يسعني إلا التناء على صديقي . خليل مطران . صاحب المنن على الأدب والمؤلف بين أسلوب الإفرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب .. والمأمول أننا نتعاون على إيجاد شعر للأطفال والنساء .. وأن يساعدنا سائر

¹⁷ - يذكر المؤرخون أن ما كتبه شوقي من شعر الحيوان قد نظمه في أثناء وجوده في فرنسا .. وكان يجمع الأطفال المصريين ويقرأه عليهم ..

الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأمنية). وينتهي شوقي من تعليقه أو تقديمه لشعره الذي كتبه للأطفال ذاكراً بالثناء صديقه خليل مطران . صاحب المنن على الأدب والمؤلف بين أسلوب الإفرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب . هكذا.. دون أن يذكر كلمة عرفان أو اعتراف بتأثره بأعمال عثمان جلال وبالطبع لا نستطيع أن نسلّم بأن شوقيًا . من موقعه في عصره . لم يتعرف على أعمال عثمان جلال . خاصة الشعرية . بصفته شاعر الأمة فيما بعد!.

وقد سار على سنة شوقي من بعده كثير من النقاد المؤرخين.. فأهملوا من جاء قبله .. وعدّوه أول من كتب شعر الأطفال في العربية وأنه كان وحيدًا في الساحة¹⁸ .. وأغلب الظن أن شوقيًا بحكم شاعريته وقربه من السلطة . في زمانه . كان يملك أن يُفنع الناس بما يودّ أن يقنعهم به.. فهو (يجرب خاطره في نظم الحكايات) . ويدعو شعراء آخرين أن يتبعوه في مسيرته.. فيُنظَر إليه على حساب غيره الذي يعيش في الظل!

لقد أردت أن أسوق هذه الحقيقة التاريخية في سبق الكتابة الشعرية للأطفال.. دون أن أتخذ موقفًا مضادًا من أمير شعرا العربية.. فقد أضاف أيضًا الكثير إلى ساحة الشعر وكتب للأطفال شعراء، قد يتفوق على ما كتب عثمان جلال (نلاحظ فرق الزمن والتجربة بين الشاعرين وما يعكسه على عقلية الطفل...) لقد تأثر شوقي .

¹⁸ - انظر (ملاحظة أولى) في صدر هذا الكتاب وانظر : الحكاية: د. سعد ظلام ص747.

ليس بلافونتين وحده . ولكن بكليلة ودمنة، وحكايات التراث كذلك لكن النظرة الموضوعية إلى شعر شوقي للأطفال، تبين لنا أن قصائده تلك ليست بنفس السلاسة والبساطة التي كتب بها عثمان جلال . فهي تتميز بسمات رمزية يصعب على الأطفال . أحياناً . فهمها إلا بواسطة معلّم .. يضاف إلى أنها في مجملها ذات ألفاظ لا يتسع لها قاموس الطفل اللغوي .. وكذا قاموسه الإدراكي .. وربما يعود ذلك إلى أن شوقياً كان يكتب للأطفال من موقعه كشاعر كبير أوجد . إلى جانب وجود تلك المادة الجاهزة التي لا تتطلب غير الترجمة الشعرية إلى العربية، ومع هذا فإن كثيراً من هذه النماذج قد اختيرت لتقديمها للأطفال في المدارس المصرية إلى فترات طويلة .

ومع كل هذا فقد قدم شوقي إضافة ملموسة في هذا المجال .. فمن أشهر حكاياته الجميلة نختار هذه القصيدة:

(الثعلب والديك)

برز الثعلب يوما	في ثياب الواعظينا
فمشى في الأرض يهدي	ويسبُ الماكرينا
ويقول الحمدُ للـ	ه إله العالمينا
يا عباد الله توبوا	فهو كهفُ التائبينا
وازهدوا في الطير إن الـ	عيشَ عيشُ الزاهدينا

واطلبوا الديك يؤذنُ
فأتى الديك رسولٌ
عرض الأمر عليه
فأجاب الديك: عُذْرًا
بلغ الثعلب عني
عن ذوي التيجان ممّن
أنهم قالوا وخير القد
مخطئ من ظنّ يومًا
أن للثعلب دينًا

وفي قصيدة أخرى بعنوان: (الدب في السفينة) يقول:

الدبُّ معروفٌ بسوء الظن

فاسمع حديثه العجيب عني

لما استطال المكث في السفينة

ملّ دوام العيشة الظنينة

ثم يسوق الحكاية وهي واحدة من حكايات الحيوان في سفينة نوح.. ومنها كذلك

حكاية (الحمار في السفينة) ويقول فيها:

سقط الحمار من السفينة في الدجى

فبكى الرفاق لفقده وترحموا

حتى إذا طلع النهار أتت به

نحو السفينة موجة تتقدم

قالت: خذوه كما أتاني سالما

لم أبتلعه.. لأنه لا يهضم

وهي من الحكايات الفكاهية التي أكثر منها شوقي في هذا الديوان.

وهذا نموذج آخر بعنوان (ولد الغراب) نقتطف منه هذه الأبيات:

وممهدّ في الوكرِ من ولد الغرابِ مُزقِّقِ

كرويهب متقلّس متأزّر .. متنطقِ

لبس الرماد على سوا د جناحه والمقرق

كالفحم غادر في الرّما د بقية لم تحرق

ثأناه منقاراً ورأ س والأظافر ما بقي

إلى آخر الحكاية التي تحكي أمّا فُتنت بولدها الصغير وتخيلته كبيراً، فرمت به من

الجو بدون حرص عليه.. فتمزق فوق الأرض.. وأقبلت الغريبان عليه.

وبقدر ما نجد بعض الصعوبة في الرمز واللغة.. إلا أن هناك نماذج كثيرة يتفوق

فيها شوقي على نفسه.. مما يعد إضافة حقيقية إلى شعر الأطفال على السنة

الحيوانات.

عبد الله فريج:

وهذا ناظم أصدر عام 1893 كتاب (نظم الجان في أمثال لقمان) وهو يتضمن خمسين مثلاً وضعها المؤلف في صورة أراجيز تحكي حكاية عن الحيوان أو الإنسان أو النبات ثم ينهي الأرجوزة بالمثل الذي أنحدر إلينا من أمثال لقمان.. وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب:

(لما رأيت الديار المصرية قد رقت في الحضارة إلى درجة عليّة.. لا سيما في زمن مولانا العباس.. الذي أئبعت فيه المغارف كرياض الآس .. هذا وقد قرر المجتمع اللغوي في بعض جلساته بعد النظر المدقق في مباحثاته .. أن يكلف تلاميذه المدارس الأميرية.. في عهد الوزارة الرياضية . أي رياض باشا . بحفظ منتخبات من أشعة البلغاء .. ليكتسبوا بذلك ملكة الإنشاء .. وقد أخذتني الغيرة الوطنية أن أخدم بلادي بخدمة رضية.. تعود على أبنائها بالفائدة.. وتأتي لهم بالمنافع الزائدة. فاستعنت في ذلك الواحد الفاتح.. مصدر الحكمة وينبوع الصلاح . وعمدت إلى أمثال سيدنا لقمان.. الذي شهد له تعالى بالحكمة في منزل القرآن.. وإلى ما جرى ذلك من الأمثال الرائعة ذات الأبيات راسخة القافية.. ثم جعلتها خدمة أدبية لتلاميذ المدارس الابتدائية.. إلخ)

ويتضح من هذه المقدمة أن الشاعر قد عمد إلى مصدر أساسي، هو أمثال لقمان، وإن كان استعان..بأمثال قريبة أخرى لا تخرج عن روح..أمثال لقمان.. ولهذا لم

تقتصر أراجيزه على حكايات الحيوان.. فقط.. بل وجدنا هينوع في الموضوعات مثل
: بستان وعوسج . الحداد وكلبه . امرأة ودجاجة..

حطاب والموت . زنجي . صبي كذوب.. شجرة بلوط والسنابل.. أما أسلوب النظم
فقد جاء متكلفاً إلى حد كبير يدل على عدم شاعرية كافية . وإن كان للمؤلف هذا
ديوان آخر من الشعر في أغراض مختلفة.
وقد بدأ كتابه عن الأسد مع حيوانات كثيرة مثل الثور . والشعلب والجرذون . والذئب..
ثم الإنسان.. ثم الوحوش جميعاً.. وتنقل مع الحشرات والنبات والطيور والإنسان
. في كثير من الحكايات التي تنتهي . كما قلنا . بإيراد المثل اللقمانى . ومن ذلك :

قد خطف الذئب من الرعيان

في يوم جوع أحد الخرفان

وبينما كان به يسيرُ

قابله ليثٌ له زئير

يقول مهلاً خاسرَ الإيمان

أست تخشى هيبة الديان

ومن يديه اغتصب الخروفا

يقول فيما بعدُ كن عفوفا

فقال ذاك الذئب وهو في خجلٍ

علىّ تمّ اليوم ما قال المثل:

ما ظالمٌ عن خوف مولاہ عمی

إلا ويبي لي في الوري بأظلم

وهكذا نرى أنها ترجمة حرفية لأمثال لقمان التي وصلت بعضها إلينا . أو حرفت أو أضيفت إليها واختلطت مع غيرها . حتى أصبحت أمثالاً واردة مألوفة.

وهذه أرجوزة أخرى بعنوان (امرأة ودجاجة) يقول فيها:

قيل بأن امرأة محتاجة

كانت لها في بيتها دجاجة

لها تبيض بيضة في اليوم

من فضة سادت بها في القوم

فافتكرت من غيها الغبية

أن تكثر الطعام للشقية

لعلها تبيض بيضتين

أعنى بذا في اليوم مرتين

وإذ لها زودت الغداء

وأوسعت أحشاءها امتلاء

انفجرت حوصلَةُ المسكينة

وأصبحت مولاتُها حزينَةً

وصحَّت الأمثالُ أنَّ بالطمعِ

يفرِّق الإنسانُ كلَّ ما جمع

ويتناول ما انتفتت عليه الأمثال من أن الطبع يغلب التطبع.. لكن في صورة عجيبة

حقًا هي صورة (الزنجي الأسود) حيث يقول:

مر حكيماً من ذوي الفضائلُ

يوماً على بعض من السواحلُ

وقد رأى هناك عبداً أسوداً

فوقف الحكيمُ حتى يشهداً

وإذ رآه فارغاً بالثلجِ

جسماً وما أدراك جسمُ الزنجي

في أمل بأنه يبيضُ

والاسوداد عنه قد ينفضُ

قال له الحكيم في الكلام

أقصر عناك يا أبا الأوهام

إنّ اسودادَ الثلج يا بن الخال

أقربُ من بياضك المحال

إذ قيل إن الطبع يبقى في البدن

ولم يغيره سوى درج الكفن

على كل لقد قصدنا من هذا ألا نغفل هذه التجربة على قلتها وتكلفتها في الكثير..
لكنها نجحت . بالرغم من كل ما يؤخذ عليها . في نظم الأمثال..أما إذا وضعت في موازنة مع الأراجيز العربية الأخرى في تراثنا التي تتناول الأمثال . مثل أرجوزة أبي العتاهية مثلاً ما نالت شيئاً من سبق.. لغلبة المباشرة فيها والنثرية والتقريرية.
. وربما كان هذا سبباً في إغفاله تماماً من الذكر بالرغم من أنه عاصر "عثمان جلال" و "أحمد شوقي".

أشعار أخرى للأطفال:

لقد تناولنا آنفاً شعر الحيوان لدى أبرز علامتين معاصرتين هما محمد عثمان جلال وأحمد شوقي، ولا شك أن غيرهما فيما بعد قد استجاب لهماوسار على نهجهما لكن بقدر أقل، أما الجانب الآخر من شعر الأطفال . وهو الشعر الذي يصاغ في صورة أناشيد تتضمن الوجدان والوصف وحب الوطن وغيرها من الموضوعات التي تحيط بالطفل.. فقد كتب فيها كثيرون .. منهم كذلك عثمان جلال وشوقي..

وتيسيراً للبحث أيضاً سوف نتابع هذه الأشعار لدى أصحابها المشهورين المؤثرين..

محمد الهراوي (1885 . 1939):

يُعد (محمد الهراوي) من أوائل الذين انصرفوا بجد وإخلاص إلى شعر الأطفال.. خاصة أنه كان قريباً منهم، فقد كان يعمل في دار الكتب . التابعة لوزارة المعارف. عاش الهراوي عصر الأستعمار البريطاني الذي يعمل جاهداً على تلوين الثقافة والتعليم بما يخدم أغراضه.. ومن ثم بدأ الهراوي في مقاومة هذا الأتجاه عن طريق كتابة أشعار للأطفال مستمدة من دينهم وأدبهم العربي وتاريخهم العريق .. وحاضرهم المناضل .. مما جعل وزارة المعارف تقرر دواوينه على مدارسها المختلفة.

بدأ الهراوي تجربته على مستويات الأطفال المختلفة من الإدراك والاستيعاب.. محاولاً أن يكتب لكل مرحلة من العمر ما يناسبها من الأشعار . وهي محاولة يجهد الكاتبون اليوم أنفسهم في الوقوف عليها وتقديم كتاباتهم في ظلها. كتب الهراوي:

سمير الأطفال للبنين (3 أجزاء).

وسمير الأطفال للبنات (3 أجزاء).

وأغاني الأطفال .. والسمير الصغير ..

وديوان الطفل الجديد . ملحق به رواية الذئب والغنم . (تمثيلية غنائية بالشعر في

فصل واحد) هكذا! وديواناً من الشعر الديني بعنوان: أنباء الرسل .. مستمداً من

القرآن والكتب المقدسة، أصدر الهراوي هذه الأعمال الشعرية مزينة بالصور .
صفحة للقصيدة . و صفحة مصورة توضيحية . ولهذا أقبل الأطفال على هذه
الأعمال في نهم شديد ..

ويبدأ الهراوي رحلته مه الطفل .. فيأخذ بيده ويعرفه على العالم من حوله . ولأن
وسائل الإعلام في تلك الأيام كانت محدودة و، غير متطورة، فقد حاول الهراوي في
شعره الجمع بين التعليم والترفيه . فقد نجد أنشودة بعنوان تحية اللقاء .. يقول فيها:

هل تعلمون تحيّي
عند الحضور إليكم

أنا إن رأيت جماعة
قلت: السلام عليكم

وهو هنا يحاول وضع الطفل على الطريق المستقيم والمبادئ السليمة لتحية الناس
والتعامل معهم . وفي أنشودة تعليمية أخرى يدعو الصغير إلى الحب والألفة مع
غيره .. ويؤكد فيها أن قلوب الصغار قلوب كبيرة عامرة بالحب والمودة ..

لا تظنوني صغيراً
ليس قلبي بالصغير

يسعُ الناس وداداً
من صغير أو كبير

ويود الشاعر أن يكون إيجابياً خاصة وهو يخاطب تلاميذ المدارس .. فيلجأ إلى
توجيه أنشودة أخرى تعلم الطفل حروف الهجاء .. أو تقربه حباً إليها .. وهذا أسلوب
قديم معروف في التراث العربي حيث كان علماء اللغة ينظمون قواعدها وعلومها
في أشعار ليسهل حفظها وتفسيرها على عقلية المتعلمين .. بل تعدي ذلك إلى علوم

أخرى غير العربية.. يقول الهراوي:

أبي: امتحني يا أبي في أحرف الهجاء

فإنني أعرفها من ألف لياء

وأنت في أولها من ألف وباء

ثم ينتقل الهراوي إلى الطفل في حياته اليومية.. وقد كان التعليم في عصر الشاعر صعب المنال.. وكان الصغير يمكنه أن يجمع بين العلم والعمل.. ولهذا وجه

الهراوي رسالته بأن العمل شرف وليس خطأ من كرامة الإنسان.. فيقول:

أنا في الصبح تلميذٌ وبعد الظهر نجارٌ

فلى قلمٍ وقرطاسٍ وإزميلٍ ومنشارٍ

وعلمي إن يكن شرفاً فما في صنعتي عارٌ

فالعلماء.. مرتبةٌ وللصناع مقدارٌ

ولا يغفل الهراوي قدرات الطفل العقلية في مراحل عمره.. وهو في كل ما يكتب

يضع عينيه على أمرين مهمين: الإيقاع السهل والمعنى الذي تحمله اللغة البسيطة

.. ومن ذلك ما يصف به الكلب (نلاحظ الإيقاع الذي يسهل معه الغناء واللعب).

كلبي كلبي صافي القلبِ

يجري خلفي يمشي جنبي

راعٍ للأهلِ وللصَّحْبِ

صعبٌ عند الأمرِ الصعبِ
يحمي الأغنام من الذئبِ
وله في الصيدِ.. وفي الحربِ
وله في الإسعافِ الطَّبي
وقليل العيبِ أو الذنبِ
يُغنيه القولُ عن الضربِ
فلذا.. ولذا أهوى كلبِي

إنها ولا شك أغنيةٌ راقصةٌ تصلح للإنشاد مع ممارسة لعبة معينة.. أو توقيع الأقدام فوق الأرض ضابطةً للنغم.

ومع هذا الموقف من الكلب وحب الصغير له فإنه كذلك يكون شريراً ولهذا ساق

الهوراي هذه الأبيات بعنوان (حيلة):

رمى غلام بكرة	فاقتربت من شجرة
وكان مربوطاً بها	كلب يخافُ ضرره
فدار حول جذعها	والكلبُ يقفُ أثره
فقصر الحبل به	وعاد يأخذ الكرة

وتبدو هنا قدرة الهوراي على شرح الموقف وتبسيطه وتكثيفه أيضاً في كلمات قليلة دون تطويل أو إسهاب.. ولو شئنا كتابتها نثرًا.. ربما زادت على سطور هذه الأبيات

أما في حب الوطن فللهراوي الكثير منه:

مصر أمنا حُقُّها وجبُ
تُرْبُ أرضها يُنْبِتُ العجبُ
ماءُ نيلها سائلُ ذهبُ
بين أمنا والعُلا سببُ

وأيضاً يتحدث عن شعب مصر وعراقته وحضارته فيقول:

يا ابن مصرٍ .. يا عريقِ النسبِ
قد دعا داعي العُلا فاستجبِ
واطو في الجدِّ بساطَ اللَّعبِ
واطلب العزةَ تحت العلمِ
قد نزعنا للمعالي منزعا
وتسنَّما المكانَ الأرفعا
قلْ لشمس الأفق: أخلَى موضعا
لبنى النيلِ .. بناةِ الهرمِ

وإلى جانب هذا يتنقل الهراوي خلال المشاهدات التي يراها الطفل هنما وهناك، فهو يتحدث عن الحيوان والطيور التي يتعامل معها الطفل.. ووسائل النقل المختلفة مثل السيارة والدراجة والطيارة والترام.. والآثار المصرية مثل الأهرام وأبي الهول، والآثار الحديثة مثل دار الكتب بل يدخل مع الفتاة إلى المطبخ.. ويذهب معها إلى

المدرسة .. إلى غير ذلك مما تتعدّد جوانبه ولقطاته في إيقاعات سلسلة بسيطة،

وكلمات قريبة إلى الفهم.¹⁹ ومن ذلك مثلاً ما نظمه في وصف الدراجة:

دراجة من عجلٍ تمشي بدفع الأرجلِ

محكمةُ الرِّباطِ منفوخة المطاطِ

فيها جهازُ النورِ وجرسُ المسيرِ

تفرُّ وهي جاريةٌ ولا تفرُّ راسيةٌ

تدُلُّ أن البركة تحلُّ عند الحركة

وكتاب (الطفل الجديد) للهراوي.. طريف في أناشيده ومقطوعاته .. إنه يصحب

الصغير وذكرياته .. وحياته اليومية.. ومن هذا ما قاله على لسان الصغير يصف

حاله بين الطفولة والصبأ:

حينما كنتُ وليدًا لم أكن أنطقُ حرفًا

إنما كان مُرادِي في سكوتي ليس يخفي

كنت إن أبصرتُ أُمِّي أقبلتُ .. أبسطُ كفا

وأبى إن جاء عندي لم أحوّل عنه طرفًا

وابتسامي كان عطفًا للذي يُظهر .. عطفًا

¹⁹- قام المؤلف بتحقيق ودراسة أعمال الهراوي للأطفال (25 عملاً) لأول مرة صدرت أخيراً عن المركز القوي لثقافة الطفل بالقاهرة.

وأنا . الآن . صبيُّ

فأحيي بلساني

أستطيع القول صِرْفَا

صاحب المعروف ألفا

على حين نجده يتحدث بلسان الصغير أيضا وهو يلعب طائره فيقول:

الطائر الصغيرُ

مسكنه في العش

وأُمه تطيرُ

تأتي له بالقش

تخاله .. الطيورُ

إذا بدا في الفرشِ

كأنه أميرُ

يجلس فوق العرشِ

وهكذا يضيف الهراوي الكثير إلى ميدان شعر الأطفال .. في أشكال كثيرة منها

الأغنية ومنها القصيدة ومنها المسرحية.. مما يجعله أكثر الذين فهموا عقلية الطفل

فقدموا له ما يلائمها.. بقصد التعليم في صور ورسوم توضيحية مع كل قصيدة أو

أنشودة.. كما لا يفوت الهراوي أن يربط الطفل بعقيدته الدينية ولهذا أفرد له ديوانًا

خاصا هو أنباء الرسل، وقد بدأ في إصدار أعماله عام 1922، وظلت ضمن ما

يقدم لتلاميذ المدارس حتى عهد قريب ..

وبهذا نستطيع أن نقول، إن الهراوي قد نجح إلى حد كبير في الوصول إلى عقلية

الصغير محاولاً غرس المعرفة والجمال والموسيقى جميعاً.. ولو كان شعره قد خلا

من كثير من التقريرية . المقصودة . لكان دستوراً لكل من يريد أن يكتب شعراً

للأطفال.

محاولات أخرى:

عاصر الشعراء السابقين بعض الكتاب الآخرين، الذين جمع بعضهم بين النثر والشعر وبعضهم كتب شعراً خالصاً .. ومن أبرز هؤلاء رائد أدب الأطفال (كامل كيلاني) . (1897 . 1959). ويرجع الفضل إلى كامل كيلاني في كتابة القصة للأطفال .. أكثر من كتابة الشعر .. فقد استطاع أن يمدّ الطفل بأول مكتبة عربية عنيت بتنشئته على أسس التربية الصحيحة .. فألف وترجم .. وبسط كثيراً من الأعمال .. إلى جانب كتاباته للكبار .. وحاول كامل كيلاني أن يكتب شعراً مبسطاً للأطفال .. أحياناً يضعه في ثنايا قصصه في صورة مقدمات .. أو نهايات .. يقصد

منها تربية الطفل وغرس القيم الاجتماعية والدينية ومنها:

أنا ما زلت تلميذاً صغيراً
ولكني على صغري مُجدُّ ..
أسيرُ إلى العُلا سيزاً حثيثاً
وأنشطُ نحو غايتها وأغدو
وليس بنافعي طولٌ وعرضُ
إذا لم يُغنني فهمٌ ورشدُ
فليس يقاسُ إنسانٌ بشبر

ليعرف قدره إن جدَّ جد
ونبتُ القمح مرتفعٌ قليلاً
ولكنُ .. هل له في النفع حدُّ
هو القوتُ الذي نحيا جميعاً
به .. وهو الذي ما مِنْهُ بُدُّ

كما أخرج كامل كيلاني قصائد تثير في نفس الصغير كثيراً من المعاني النبيلة..
التي تُغذي الوجدان حتى في أوقات لعبه..ومن ذلك ما كتبه تحت عنوان (لا أحد)
يقصد بها هذا اللفظ الجاري على ألسنة الأطفال عندما يعبتون بشيء في المنزل
ويحطّمونه أو يشوهونه.. وتساءلهم الأم: من فعل هذا. فيجيبون..في بساطة: لا أحد
.. وقد وفق كامل كيلاني إلى التعبير عن هذا الموقف حين قال:

شخصٌ غريبٌ تسمعون دائماً به.. وإن لم يره منكم أحدُ
ولست أدري أبداً: ما شكلُهُ وكم له من معجزات لا تُعدُّ
أما اسمه: فهو غريبٌ عندكم تعرفه كلُّ فتاةٍ .. وولدُ
فإن سألتُ: ما اسمه؟ فهو يسمي: لا أحد
إن تُركت أبوابنا.. مفتوحة أو طار من نافذة زجاجها
أو خُلعت أزرةٌ من ملابسٍ أو ضاعَ من آنيةٍ غطاؤها
أو بُعثرت من مكتبٍ أوراقه أو سال من محبرة مدادها

ثم سألنا: من فعل؟. كان الجواب: لا أحد!

وهكذا يضع الطفل أمام مواجهة حادة مع هذا السلوك.. ويسخر منه إذا هو لجأ إليه ، ومن أبدع ما كتبه كامل الكيلاني تلك المقطوعة التي تسمى (الوقت) ومنها:

قالت الطيرُ: لقد حلَّ الشتاءُ

واستبدَّ البردُ واشتدَّ الصقيعُ

فوداعا: أيها الغصنُ وداعًا

سوف ألقاك إذا جاء الربيعُ

قالت الأوراقُ للغصن: وداعا

أيها الغصنُ . فقد حلَّ الشتاءُ

سوف ألقاك إذا ما الطيرُ عادتُ

في الربيع الطلق تشدُّو بالغناء

ثم قال الوقت للناس: وداعا

إنني أنفُسُ شيءٍ في الوجودُ

ترجعُ الأوراقُ والطيرُ جميعًا

وأنا من حيث أمضى لا أعودُ

وله أيضا قصة شعرية عن الأرنب.. وأخرى عن الغراب.. وثالثة عن عنقود العنب،

حتى أنه صاغ جزءًا من قصة شكسبير (الملك لير) شعرًا مبسطًا للأطفال ..

وكما يتضح حاول كامل كيلاني أن يجمع بين القصة والشعر.. ولكنه كان يميل إلى

كتابة القصة.. وما أظنه كان يكتب الشعر إلا هامشيًا.
ومنهج الكيلاني في الكتابة للطفل يقوم على أسس ثلاثة:

أولها: تشويق الطفل وتحبيبه في الكتاب.

وثانيهما: تجنبه الخطأين: اللفظي والمعنوي.

وثالثهما: التدرج به من مستوى إلى آخر.

أما الشاعر **(إبراهيم العرب)** فقد أصدر كتابا بعنوان (آداب العرب) عام 1911، أي قبل وفاته بستة عشر عامًا (توفي 1927) وقد نظم فيه تسعًا وتسعين قصة شعرية. منها ما هو على لسان الحيوان.. وقد جاء في مقدمة (آداب العرب) :
"هذا كتاب خدمت به نابتة الوطن المحبوب.. وأجريت فيه الأمثال والحكم المأثورة، ليأخذوا منها ما يربي نفوسهم ويقوم أخلاقهم ويطبعها على أصوب آراء المتقدمين.. إلخ". وواضح من هذا التقديم أن إبراهيم العرب يلتزم جانب المثل والحكم المأثورة على أفواه الحيوانات.. أي أنه قصد الجانب التربوي قبل أي شيء.. ومن قصائده تلك ما أطلق عليها: (وحش الجبل والطيور) يقول فيها:

حكاية عن غني ماله عمل

حبّ التظاهر في الدنيا له شغل

بدا له أنّ دعوى العلم رائجة

منه إذا بات للآداب ينتحل

فأحضر الكتُبَ لا علمٌ لديه سوى
أن الكتابَ خفيفٌ أو به ثِقَلُ
وصار يحضر أهلُ العلمِ ساحته
على موائدٍ .. فيها السمنُ والعسلُ
ومن عوارفه لا من معارفه
صارت تُصبُّ على راحاته القُبُلُ
ولا معارض منهم إن بدا خطأ
ولا مجادلَ فيهم إن بدا حَظَلُ
ويرجعون إليه في العلوم وما
لديه من كأسها نهلٌ .. ولا عَلَلُ
وبالتملقِ قالوا لم نجد أحدًا
جاراك في العلم حتى النُخبَةُ الأولُ
فصار يعجبُ كيف المألُ أبلَعَهُ
تلك المكانة والجهالُ لا تصلُ

ويبدو أن كتاب (آداب العرب) لم يستطع المؤلف أن يتحرى شيئاً من البساطة إلا قليلاً مما يصلح لأن يقترب إلى إدراك الأطفال .. ومع هذا فقد أصدرته نظارة المعارف المدرسية . أيضاً . وقررتَه في المدارس الابتدائية بنين وبنات وفي

مدارس المعلمات السنوية ومدارس معلمي الكتاتيب.

* * *

وفي عام 1940 . أصدر (جبران النحاس) ديوانه (تطريب العندليب) وتضمن سبعاً وتسعين قصة شعرية مأخوذة من أمثال لافونتين.

أما الشاعر محمود أبو الوفا (1902 - 1979) .. فقد كتب للأطفال أناشيد وطنية ودينية .. كما كتب بعض القصائد التي تتحدث بلسان الحيوان وتعطى الحكمة والقيم العليا.

وفي رأى أبى الوفا: أن الفرق بين النشيد والقصيد، أن الوحدة البنائية في النشيد لا تعنى البيت، كما هى في القصيدة التقليدية أو التفعيلة العروضية - كما هى في اصطلاح بعض معاصرينا- وإنما تعنى الشطرة ولك أن تسميها البيت ..ولهذا فإن النظام التركيبى في النشيد يشبه النظام الأسرى .. إلخ.

ومهما يكن .. فإن أبا الوفا أجهد نفسه في كتابة الأناشيد للأطفال رقيقة النغم .. حماسية الأداء .. وحاول أن يعطى الصغير موضوعات أقرب إلى إحساسه وحياته الخاصة. فمثلا يكتب نشيدا عن (كرة القدم) فيقول:

كرة القدم كرة القدم هى لعبتنا منذ القدم
يابن النيل يابن الهرم العب العب كرة القدم

للكرة نداء يُشجينا ويطيرُ بنا صوبَ الهدفِ
وكأنَّ صَداهُ ينادِينَا سيروا سيروا نحو الشرفِ
في العالم نحن لنهضتنا أصحابُ الراية والعلم
ومتى كنا في ساحتها كنا الحراسَ على القيمِ

ومن الأناشيد الدينية يكتب للصغير (دعاء الصباح) فيقول:

يا إلهي يا إلهي يا إله العالمين
يا إلهي لك أدعو استجب لي يا إلهي
أعطني القوة حتى أجتلي السرَّ الإلهي
ليكن وجهك وجهي ليكن جاهك جاهي
ليكن نورك قُدًّا ميِّ في أيِّ اتجاه
فإذا الكون أمامي كلُّه نورُ إلهي
وإذا أبصرت لم أب صرُّ سوى الحبِّ الإلهي
يا إلهي يا إلهي يا إلهي يا إلهي

محاولات حديثة جدًا من شعر الأطفال

أحدثت المتغيرات التي سادت المجتمع العربي في النصف قرن الأخير.. تطورًا في كل شيء.. وعلى صعيد الأدب.. ظهر لون جديدة من ألوان الشعر الحر، أو الحديث، يتحرر من قيود القافية، لكنه يلتزم إيقاعات موسيقى الشعر الذي قال بها الأقدمون.. رغبة في الوصول إلى المتلقى المعاصر.. وصاحب هذا التطور تطور، آخر في الرؤية وأيضًا في اللغة.. باعتبارها كائنًا حيًّا.. يتطور وينمو ويضاف إليه ويتخلص من شوائبه على مدى الدهور.. ولأن اللغة العربية.. من بين لغات العالم.. تتميز بثرائها.. وتعدد مفرداتها ومترادفاتها.. فإن الكاتب الذي استوعبها لا يقف عاجزًا أمام الوصول إلى أي مستوى عقلي.. حين يريد أن يختار له المستوى المناسب في اللغة.

لكن الأمر قد يفهم على العكس.. حين ينظر إلى تبسيط اللغة على أنه طريق ممهد للعالمية أو لما يسمى باللغة (الثالثة).. وفي هذا أيضا ظلم لطبيعة وشخصية اللغة العربية.. التي تستوعب وتعبر بقدرة وكفاءة في كل ظرف وإلى أي مستوى إدراكي.

وفي رأيي أن التبسيط في اللغة سمو بها، وليس انحطاطًا أو إحداث لغة ثالثة، وهو سهم يحسب في جانب اللغة وليس ضدها. لهذا آمن كثير من شعراء الشعر الحر.

بضرورة فتح آفاق جديدة لهذا اللون في مجال الدراما الشعرية.. والملحمة الشعرية .. وأيضاً الكتابة للأطفال بالشعر. وما يهمنا في هذا المجال ما حاول الشعراء كتابته للأطفال بهذا اللون الجديد.. وهل استطاعوا أن ينفقوا على لغة مشتركة في هذا المجال.

ولا أود هنا أن نحكم مطلقاً على ما قدم للطفل بهذا اللون .. لأنها محاولات . وإن كانت مخاصة حقاً . لكنها .. لم تصبح تياراً أو ظاهرة أدبية.. وليس أمامنا الآن إلا أن نعرض لبعض هذه المحاولات بتعليقات حذره .. مجتهدة ..

محاولات سورية:

تجيء في مقدمة هذه المحاولات ما كتبه الشاعر السوري (سليمان العيسى).. فقد كتب ديواناً من الشعر للأطفال إلى جانب مسرحيات غنائية كذلك. ونجد الشاعر نفسه يعترف من البداية أنه تعمد الرمز والصعوبة في الألفاظ.. والغرابة في بعض الصور . بما يفوق إدراك الأطفال.. وقد تعمد ذلك كله . في رأيه . لإيمانه بقدرة الطفل على الالتقاط.. والإدراك بالفطرة.

وأعتقد أن الشاعر سليمان العيسى هنا يحاول أن يصحح مسار الكتابة للأطفال.. الأمر الذي يمكن أن يكون مقبولاً ومؤثراً إذا لم يقصد الشاعر إلى ذلك قصداً . أعنى الصعوبة والغموض . وإذا لم يتكرراًئماً أنه يكتب من وراء أعوامه التي

قاربت الستين ودواوينه الاثنى عشر ومسرحياته الأربع.. وخبرته اللغوية القادرة.
لقد كان حل المعادلة . داخل وجدانه . صعبًا متعنتًا..فهو يريد أن يصل إلى وجدان
الطفل الذي لا يمتلك خبرة لغوية أو خيالية عالية.. وهو أيضًا يريد أن يرتفع به
إلى مستوى الرمز في الشعر . لغة ومضمونًا . لكن هناك ظلًا آخر انسحب على
معظم أعمال سليمان العيسى هو ارتباط أشعاره . في معظمها . بمفاهيم وطنية
ترتبط بأحداث خاصة إقليمية ومعنويات تفوق إدراك الطفل المعاصر بكل المقاييس
. فهو يتحدث عن البندقية وأحلام التحرر.. والنضال المستمر.. والمستقبل العربي.
كما تكثر لديه..الحواشي في صفحات الدواوين لتفسير المعني أو المفردات..
لكن ذلك كله لم يقف دون تقديم عدد من النماذج الجيدة التي استطاع بها أن يوازن
فيها الإيقاع مع اللغة . نسبيًا . وتصل إلى الطفل دون مجهود كبير..

في إحدى قصائده يقول سليمان العيسى:

الْقُبلة الأولى مع الصباح

لجبهة الفلاح

لساعد الفلاح

للساعد المفتول

تحية الحقول

تعطيه ما يشاء من ثمر

من غلة كدفقة المطر

وتضحك البلاد

لموسم الحصاد

ويسعدُ البشر

وهذا نشيد كتبه في نهر (بردي):

بردي بردي نغمٌ وصدى

ظلٌ وندى عذبٌ أبدا

من جناتِ السطحِ الأسمز

يولد شلالاً من عنبر

في شفتيه لحنٌ أخضر

وبخديّيه.. ضحك المرمز

وفي مقطوعة (سوار شعلة) يقول:

كان لنا جيران

وقريةٌ تمورُ بالألوان

بالماء بالأطيار بالشجر

وذات يوم غارت القريةُ في الضباب

وصار بيتُ جدك الحبيب

يحتلُّه مستوطنٌ غريب

على حين كتب ما أطلق عليه (أناشيد للأطفال) تتسم بالعدوابة والإيقاع السريع

الراقص، ومن ذلك قوله:

قالت ربابُ: أنا ربابُ

العشبُ أزهرَ والترابُ

عصفورُ البيت الصغير.

وقبلهُ النور المذابُ

نغمُ الصباح..

والدار أقبلها أنا

دنيا مراح

قالت ربابُ: أنا رباب

أنا زهرة بيدي كتاب

ويكتب على لسان صغيرة تسمى (تيم) أنشودة راقصة أخرى.. فيقول:

الرمل الناعم بين يدي

وأنا ألعبُ

أبني بيتاً وطريق غد

أبني ملعب

اسمي من ديوان العربِ

اسمي: تيمُ

اثتان نرفرفُ: قال أبي

أنا والغنيمُ

ياموج الشاطئ ياأزرق

افرخ وامرخ

في الشاطئ زغولٌ صقّ

وأتى يسبح..

ويتضح من هذه النماذج محاولة الشاعر الوصول إلى ذهن الطفل ووجدانه، مستخدماً خبرته وحبه للشعر والطفل معاً.

أما مسرحياته الشعرية للأطفال فهي محاولات رمزية في الوطنية والكفاح العربي، يمتزج فيها الشعر التقليدي بالشعر الحديث. وتقف مع ذلك مثلاً فريداً في هذا المجال.

أما (خليل خوري) من سوريا كذلك فقد التزم قضية فلسطين.. فجاء شعره توجيهياً

في إيقاعات عذبة.. وهذه قصيدة له بعنوان:

(رسالة إلى أطفال فدائي في العيد) يقول فيها:

أحبائي: عيسى .. هند .. ميسونُ

أسامهُ .. قيسُ .. مأمونُ

إذا لم يأت بابا ليلة العيد

فليس لأن بابا قد سلاكم يا أعزائي

وبابا الآن منهنك يُعدُّ هدية كبرى

لأعينكم: هديتكم .. فلسطين!.

وهى قصيدة كما نرى تلتزم الخط الوطني؟؟ وتدخله إلى وجدان الطفل، حين تربطه
بمناسبة طيبة للأطفال هي مناسبة العيد..

ولمحمود السيد الشاعر السوري أيضا .. نقرأ في مقطوعته (أربع لوحات):

لأنني ريح ..

حملتُ بثوبي حبوب اللقاح

وظفتُ بها الأرض دون ارتياح

ودون مديح ..

لأنني نهار

صنعتُ بسوطي جموع الكسالي

وقلت جهارا

دعوا الاتكالا

تصيروا كبارا

والملاحظة في التجربة السورية أن الشعراء ينوعون في تجاربهم وإن كانت مساحة
الشام وأحداث فلسطين مادة يقدمونها وينحازون إليها.. ويجعلون الطفل يتعايش
معها .. كما نلاحظ أن اللغة لديهم أيضا تتراوح بين الصعوبة والسهولة .. وقد نجد
بعض الغموض في المعنى .. لكننا . رغم كل ذلك . أمام تجربة مهمة في شعر

الأطفال شارك فيها أجيال مختلفة من الشعراء المعاصرين .. من أمثال:

سليمان العيسي . شوقي بغدادي . خليل خوري . حسيب الكيالي . أحمد الجندي .

حامد حسن . نصح فاخوري .. وآخرين .

محاولات عراقية:

وبين يدي الآن تجربة حديثة في (العراق) قامت بها دائرة ثقافة الأطفال في بغداد..
وهي تتمثل في إصدار سلسلة شعرية لأعمال الطفل المختلفة، وبأقلام شعراء
متحمسين لتجربة شعرا لأطفال عراقين. وغير عراقيين منهم عبد الرزاق عبد الواحد
. وبيان صفدي . وجمال جمعة .. بل اتسع نطاق التجربة ليكتب فيها سليمان
العيسى . أيضا . وكريمة العراقي . وتركي كاظم جودة . وغازي الفهد .

وحسن عبد الحميد ناصر . وفالح حسين . وهادي ياسين على . وغيرهم كثير .

وواضح من التجربة أنها صدرت من واقع دراسة واقعية إلى حد كبير لاحتياجات
الطفل الوجدانية وهي في معظمها أقاصيص شعرية بعضها تحكي عن الحيوانات
والبعض الآخر مستمد من القصص العالمي، فمن هذه التجربة ماكتبه (عبد الرزاق
عبد الواحد) بعنوان (الطفل والفراشة):

رأيت ذات مرة	فراشة ملونة
كأنها لحسنها	من ذهب مكونة
من زهرة لزهرة	تطير وهي حاملة
تحملها أجنحة	مثل الحرير ناعمة
وبينما كنا معًا	في فرح نرقبها

بمضرب يضربها	إذا بطفل هائج
لكن هوت فوق الثري	فأفلتت من يده
أجملُ مشهد جرى:	وقبل أن يلحقها
فهب كي يدركها	كان أبوه واقفاً
قبيل أن يمسكها	محتضنا صغيره
أريدها يا أبت	صاح الصغير باكياً
إليه في محبة	لكن: أبوه ضمّه
أعلمُ كم تحبُّها	قال له يا ولدي
جميعنا نحبها	لأنها جميلة
تقتلها لمسُ اليد	لكنها رقيقة
نحبُّه يا ولدي	أنقتل الشيء الذي
مدَّ إليها أصبعه	فوقف الطفلُ وما
أخرى رأينا أدمعه	وحين طارت مرةً
فرحاً يرئو معه	وكان يرئو وأبوه

هكذا ببساطة شديدة تحكي قصة بالشعر في كتيب مقوى، لا يزيد عن ست عشرة

صفحة فقط، كل بيتين في صفحة مصحوبين بصورة معبرة.
وفي قصيدة أخرى بعنوان (البحار الصغير) يقول الشاعر عبد الرازق عبد الواحد
أيضًا:

أنا فتى بَحَّار	تسحرني البحار
أحبُّها لأنها	تملؤها الأسرار
تلمعُ في قيعانها	اللالئ الصَّغار
والسمك اللَّماع	والمرجان والمحار
أحبها لأنني	تبهرني الأسفار
السندباد في دمي	والموج والأخطار
وقد رأيت زورقًا	يحضنه العُشَّار
كقلعة يحوطها	الجلال والإكبار
ثم تهادت خلفه	قلاعنا الكبار
عرفتها فإنها	أسطولنا الجبَّار
وظل طيف السندباد	في دمي يُثار
الله لو أني به	محاربٌ معوار
حيث يسيرُ زورقي	تلتفتُ الأنظار

يخشى العدو صولتي والموجُ والإعصار

الله لو.. الله لو لو أنني بحار

ولاشك أن العذوبة هنا والقدرة والسيطرة على القافية لا تجيء إلا من شاعر متمكن يطوع اللغة والتعبير كما يشاء.

وهذا ديوان آخر بعنوان (أغلى كلمة) للشاعر (بيان صفدي) يتضمن قصائد شعرية

عن القمر والنخلة . والوطن . والأمير والحطاب . نختار منها هذا النشيد بعنوان

(ضيوف القمر):

قمرٌ غالٍ

للأطفال

كم غينا .. لك يا قمرُ

تحت ضيائك طاب السهرُ

افتح بابك .. إنَّ صحابك

جاءوا الآن فهم زوارُ

ولهم عند حدودك دارُ

جئنا .. جئنا .. فاستقبلنا

واقبل باقة ورد منّا ..

كما تتضمن هذه التجربة ديوانًا اشترك فيه مجموعة من الشعراء . نختار منها هذه

الأنشودة البسيطة بعنوان (أرجوحة):

أرجوحتي .. مكانها

ما بين فرعي شجرة

وعاليا تأخذني ..

حيث الغصونُ النضرة

أشاهدها الأنهاز

والروض والأطيار

وأجمل الأزهار

وفي طريق عودتي ..

تقول لي صديقتي:

تعال يا نزار

نباركُ النهاز

بفرحة الصغار

أرجوحتي رمزُ الفرخ

ألوانها قوسُ قزح

كما قدمت دار الثقافة أيضا تجربة أخرى .. من خلال أشعار شوقي التي كتبها
للأطفال، أعدها (فتحي خليل) الذي جمع فيها بين الشعر والنثر.. فقد بدأ كل قصة
شعرية على السنة الحيوان.. بنثرها وقصّها... أولا . ثم أفرد صفحتين للكلمات التي

يمكن أن يجد الطفل فيها صعوبة، وأثبت معناها (مصورا) ثم بعد ذلك أثبت القصيدة، أو القصائد . مصورة على طول الكتاب.. ثم أنهى الكتاب بنبذه عن الشاعر أحمد شوقي وصورة شخصية له²⁰.

واعتقد أن هذا العمل بهذه الصورة يجمع بين كثير من المميزات.. فهو يعرف الطفل بالقصة . نثرًا . ثم يعرفه على الكلمات الصعبة ومعناها .. فيكتسب بذلك حصيلة لغوية يضيفها إلى معجمه الخاص.. ثم يقرأ (شوقيا) في قصيدته كما هي.. ثم يعرف أخيرًا من هو أحمد شوقي الذي أمتعته طوال هذه الصفحات. ويبدو أن أشعار أحمد شوقي قد أغرت الكثيرين (بنثرها) في كتيبات مستقلة للأطفال منذ سنوات طويلة في مناطق متعددة من الوطن العربي.. وبين يدي سلسلة بها خمسة وعشرون كتيبًا للأطفال، صدرت في (ليبيا) تحت عنوان عام هو: (قالت الحيوانات يا أطفال) ويبدو أن هذه الطبعة . غير مؤرخة . تسبق تجربة العراق والتجربة المصرية . إذ عمد مؤلفها . الدكتور محمد التونجي إلى سرد القصة الشعرية نثرًا على طول الكتاب.. ثم أثبت القصيدة الشعرية في صفحة واحدة هكذا: (قال الشاعر أحمد شوقي): ثم ترد القصيدة بأكملها التي سردها نثرًا . مع بعض التصرف والخيال القصصي . على مدى صفحات الكتاب..

²⁰ - صدرت عن الهيئة العامة للكتاب نفس الفكرة عن أشعار أحمد شوقي من إعداد الكاتب عبدالنواب يوسف .. وإن كانت تتسم بالعجلة في إخراجها .. إلا أنها لا تختلف كثيرًا عن التجربة العراقية .. كما قدمها مسرح الطفل بالقاهرة من إعداد شوقي خميس وإخراج هناء سعدالدين (موسم 1987).

التجربة المصرية:

أن لنا الآن أن نتساءل عن التجربة المصرية .. هل لعب الشعراء المحدثون دورا

في أدب الطفل .. أم تراهم تخلفوا عن ذلك!؟

وابتداء أعترف - كواحد ممن يكتبون الشعر الحر - أن هذا اللون الذى نكتبه يمكن

أن يكون إيجابيا لو أخلصنا إليه كشعراء .. لكن ما دمنا نستهيئ بهذا المجال - وهو مجال شريف لا يقل أهمية عن أي مجال آخر - فلن نضيف شيئا.

ولحسن الحظ .. يستجيب لدمعة الطفل المصري شعراء كثيرون .. حاولوا الكتابة

للأطفال سواء بالشعر التقليدي أو الشعر الحر .. وكلهم متحمسون رغبوا في فتح

آفاق جديدة في قلعة الشعر الحصينة..²¹

- عبدالعليم القباني:

هذا شاعر سكندري متعدد الاهتمامات والعطاء .. باحث مجتهد وشاعر له مذاق

متميز بين الشعراء العموديين ..

أصدر القباني أخيرا ديوانا للأطفال بعنوان (قصائد من حديقة الحيوان) وهى كما

يدل العنوان الجامع تتناول سلوكيات الحيوان .. في مقطوعات صغيرة من عدة

أبيات .. يخرج الطفل بعدها بقصة قصيرة أو موقف وأيضا بحكمة نافعة.

²¹- أجرى أخيرا مركز أدب الأطفال بدار المعارف مسابقة فى شعر الأطفال، وتقدم إليها بعض العاملين بالتربية والتعليم .. وكان المستوى معظمه ضعيفا لأنه غلب عليه النظم الخالى من روح الشعر الذى يقترب من وجدان الطفل .. ومع هذا وضعت المقاييس على ما قدم لا على ما يجب أن يكون !! ومما يؤسف له أن المسابقة قصد لها ألا تأخذ حظها فى الإعلان لكى يحتجب عنها شعراء لهم تجارب حقيقية فى هذا المجال.

ومن هذه القصائد قوله:

طاول الثعلب يوماً أسداً إذ رآه ينتزى في القيود
قال يا أضعف سكان الفلا همة .. كيف على الغاب تسود
أنت ما أنت .. إذا قيس الألى شرفوا الأدغال من حمر وسود
وتماذى يشتم الليث فما تفلت الأباء منه والجودود
وإذا بالليث يُلقى نظرة صورت معنى من الحكم السديد
(لست يا ثعلب من يشتمنى إنما يشتمنى هذا الحديد)

إن الشاعر هنا يحاول أن يستحدث موقفاً .. ويضيف معنى .. ويؤكد على مفهوم الحرية ويرمى بالغرور والتكبر .. وفي قصيدة أخرى يقول:

على الأغصان عصفورٌ صغير السن معرورٌ
رأى في الحية الرقطا ء حُسنًا .. فهو مسرورٌ
وما يدرى بأن السُّد م تحت الناب مستورٌ
وأقبل نحوها يسعى فناداته العصافير
تحذره من الأفعى فإن حنانها زورٌ
فلم يعبأ بما نصحت وللأوهام تأثير
وغنى حولها طرباً فأمسى وهو مقبور

ومن يغتر بالأوهام تُهاكّه المقادير

وهى صياغة أخرى في نفس المعنى السابق ..

أما الشعراء الذين كتبوا بالشعر الحديث فهم كثيرون .. ويجيء في مقدمة هؤلاء الشعراء: سمير عبدالباقي، أحمد الحوتى، أحمد زرزور، وحسين على محمد وكاتب هذه السطور.

أما (سمير عبدالباقي) فهو إلى جانب أنه شاعر جيد .. فهو يكتب العامية .. ويكتب قصصا نثرية للأطفال ومسرحا للطفل .. ودخل أيضا إلى ساحة الشعر ليقدمه في بساطة وقدرة للأطفال.. وما يهمننا بالقطع ما قدمه سمير عبدالباقي من قصائد أو حكايات شعرية للأطفال .. وفى اعتقادي أنه استطاع أن يضع يده على المفاتيح الحقيقية - غالبا - للوصول إلى وجدان الطفل .. فقد تنوعت قائده بين الطبيعة واللعبة والطيور والحيوان والوطن .. والتراث الشعبى جميعا. وبهذا يحاول أن يجعل من الطفل متقفا صغيرا .. ومن حقنا الآن أن نقتطف من أعماله هذه النماذج (الشمس والأطفال):

يا شمس يا صديقة الإنسان

والنبات والشجر

يا منبع الضياء والنماء

يا مضيئة القمر

من أول الزمان

أنت نعمة السماء للبشر

وزهرة الحرية

يا شمسنا العربية

من أقدم العصور أنت أجمل الزهور

أنت غنوة المطر ..

وفى قصيدته (على الأرجوحة) يبدأها هكذا:

على أرجوحتي أعلو

تدور برأسي الأفكار

أرى نفسي أطيّر .. أدور

كأني طائر الورواز

أسابق نحلة العسل

أزور الورد والأزهار

وأعلو مرة أخرى

كأني طائر جبار

وحيثما يريد أن يدل الطفل على (ألف ليلة وليلة) .. يقول:

في ألف ليلة وليلة رجال:

من يمتطى الخيول

أو يركبُ الأفيال

ومن يطير فوق ومضةٍ من الخيال

أو فوق بارقِ الشعاعِ

أو عواصفِ الرياحِ

وبعد أن يشرح له - بهذه السلاسة والمتعة - كثيرا من شخصيات ألف ليلة يقول له

محفزا إياه على قراءة هذا التراث العظيم:

لو عشت يا بنى ليلةً بألف ليلة

تكون قد خلقت من جديد

تحسُّ عندما تعودُ

بأن حلمك البعيدُ

أن يصنع الرجال للأطفال عالماً سعيداً!

والميزة هنا أن الشاعر متنوع في النقاط قصصه ومواقفه وموضوعاته التي يقدمها

للطفل، ولأنه يمتلك القدرة على تفجير اللغة .. فهو حريص على تقديم اللغة مشبعة

بالمعنى والخيال معا، حتى تصيب الصغير المتعة والمعرفة معا .. وهذه ميزة

تحسب إلى جانب الشاعر ..

- أحمد الحوتى:

أما أحمد الحوتى شاعر أصدر أعمالاً شعرية في دواوين .. وهو يكتب العامية كذلك والمسرح إلى جانب الشعر .. ومن أعماله الشعرية التي كتبت خصيصاً للأطفال تلك المجموعة التي أسماها (الورد والشجرة) ..

وهي أشعار على لسانه هو كصديق صغير يتحدث مع أصدقائه الصغار كذلك .. ويبدأ معهم من لحظة التفتح على الكون - لحظة الحب- حب الناس- ثم يأخذ بيدهم عبر الشوارع والطرقات، ويلتقط لهم مواقف وحكايات، ما كان يجب أن تحدث لو أن كل إنسان أخلص في عمله وحبه للناس ولبلده .. ولكي تكتمل الصورة .. ساق لهم كذلك مواقف وحكايات من يخلصون في عملهم .. ومن يحبون بلدهم .. ثم نجده مثلاً يدعو الصغير ليس فقط للحب .. ولكن لتقدير كل فعل ولو كان صغيراً .. واحترام كل إنسان ولو كان ملوناً أو ينتمى إلى طبقات فقيرة، فالناس سواسية خلقوا من بطن واحدة .. فمثلاً يقول في (حكاية المصباح المكسور):

لنا صاحب ..

ينير الليل في الشارع

ويسهر تحته الأطفال كل مساء

هو المصباح ..

والمصباحُ حين ننامُ يرعانا

ويملاً نومنا أفرح

ولكنى وجدتُ صديقنا الليلة

حزينًا ..

كان مكسورًا

ولم يسهزُ مع الأطفال

وحين ننامُ لن يحكى لنا الأحلام

حزنتُ لأن صاحبنا .. حزينٌ هذه الليلة

سألتُ أبى .. فأخبرني .. بأن صديقنا ممدوح

رمى الفانوسَ بالأحجارِ والطوبِ

فكسره ..

ولنُ يحكى لنا الأحلام

وقال أبى: سنُصلِحه

لكى يحكى لنا الأحلام

وقال أبى: هو المصباحُ في الشارع

صديقُ الليلِ والأطفالِ

فلا تكسره يا ولدى

فحين ننامُ يرعانا .. ويملاً نومنا أفرح ..

لا شك أنها لقطة ذكية صيغت في كلمات ونغم عذب .. وأيضاً قوية التأثير حينما يستمع إليها الطفل أو يقرأها مصورة .. مجسمة.

وحين يريد من الطفل أن يحس بالجمال .. يصوغ ذلك في قصيدته (الورد والشجرة) فيقول:

حكى لى شيخُ حارتنا

بأن الوردَ .. والشجرة

تماماً مثلنا أطفال

وأن الوردَ يفرحُ حين نسقيه

ونرعاه .. ويبكى لو قطفناه

وفى مرّة ..

دخلتُ حديقةَ الحيوان

أنا .. وجميعُ أصحابي

وكنا نلعبُ الألعاب

بعيدَ عن مكانِ الوردِ والأشجار

رأنا الشيخُ ..

حياني .. وحياهم ..

وتنتهى القصيدة بحكمة بالغة وفى فنية قادرة.

- نشأت المصري:

الذي مد الأطفال بعدد من الأعمال الشعرية والنثرية..ومن قصائده:(قصة الحجر)
يقول فيها:

الزائر الغريب قال:

لو أننا نسمع ما تقوله الأشياء

ندرك أن غاية الوجود.. عبادة المعبود

الله لا سواه.. الله لا سواه

وهكذا أراك يا سيدة البحار

عابدة لله.. كثيرة الأفضال

طويلة النضال

ليستمر الكون والحياة

قلت: أنا كما تري ذبول واصفرار

قال الغريب: بل أراك قطعة من الجمال

تاريخك العطاء والكرم

ولا يهم الشكل لا يهم

.....

وذات يوم رأيت طفلاً كالقمر

في يده حجر

أراد أن يقذفني فطار في الهواء

ثم أطلق الحجر

أصابني فقلت: آه.. يا لقسوة القمر

فالحجر المرتد قد أصاب رأس الطفل بالضرر

وبعد لحظة ضحكت

- أحمد زرزور:

الذي رأس تحرير مجلة قطر الندى فأخلص في عطائه للطفل في سنين عمره المختلفة. وشعر أحمد زرزور يخاطب الطفل في باكورة علاقته بالمدرسة مع حصيلة لغوية قليلة - في كلمات وسطور قصيرة جداً مكثفة المعنى والخيال .. من ذلك:

بيوتٌ .. هناك بيوتٌ هنا

بيوتٌ لنا ولمن حولنا

فمنها الكبيرُ ومنها الصغيرُ

ومنها الغنيُّ ومنها الفقيرُ

بيوتٌ على الغصن فوق الشجرِ
وأخرى على الوردِ أو فى الحَقَرِ
تعالوا نغنى لها كأننا
لنحيا بها وهى تحيا بنا

ولم يقتصر أحمد زرزور على شكل الشعر الذى يلتزم القافية .. فقد وجد في إمكانه

أن يكتب بشكل الشعر الحديث، مثل نموذج (الولد الذى صار طبيبا) يقول فيها:

سمعتُ ذات ليلةٍ من جدّتي

الحنُون

حكايةً غريبةً عن ولدٍ شقي

تعودُ الكذبِ ..

تعود الخداعَ والدهاءَ

وكان يومه يمرُّ في تدبيرِ ألفِ مقلبٍ ومقلب

مستهزئاً من طيبةِ الصحابِ ..

وذات يومٍ يا أحبّتي

. تقولُ جدّتي .

وكان هذا الولدُ الشقيُّ يستحم

والموجُ عند الشاطئِ البديع

هادئٍ رقيقٍ

وساكن وديع

فصاح: يا صاحبُ أسرعوا

فإنني أضيع

أنقذوا أخاكمُ الذي يحيطُه الخطرُ .

ويكمل الشاعر حكاية الولد الشقي الذي كان يسخر من أصحابه في كل مرة يمثل

فيها الغرق.. حتى كاد التيار يبتلعه بعد ما انصرف عنه الأصحاب لكذبه وخداعه:

لولا اقترابُ زورقٍ يمرّ صدفةً

فأسرع البحَّارُ

وأنقذَ الصبِيَّ من براثنِ الأخطار

وينهى الشاعر قصيدته بأن الولد تعلم بعد ذلك ألا يكذب.!

- محبوب موسى :

وقد كتب عدة مسرحيات شعرية للأطفال.. يقول عن (الحرية):

لماذا كلبتي يا عم لا تتبح

ولا تمزح

ولا تلهو معي كالأمس

تقول: لأنها في الحبس

وأين الحبس

إن حديقة الدار

بها بيت لكلبتنا نزينه بأزهار

تقول: انظر لسلسلة تقيدها

أنا أدركت يا عمي

سأسعدها بفك القيد

فما في الكون من فرح عظيم

مثل (حرية)

- يسن الفيل:

يبدع تجارب متنوعة في مجال شعر الأطفال إلى جانب أنه شاعر قدير للكبار،

يقول في إحدى قصائده:

مدرستي يا فخر الوطن

يا مهد النور مدى الزمن

أهواك هوىً يملكني

يسري في الروح وفي البدن

.....

حجرات الدرس أحبيك

وأختي زملائي فيك

حاضرک الغد وماضيك

يسري في الروح وفي البدن

.....

صاحبُك أنقي سنواتي
يا نورَ الحاضر والآتي
أهواكَ وحبك في ذاتي
يسري في الروح وفي البدنِ

وكما نلاحظ صاغ الشاعر عمله في قالب الأنشودة البسيطة التي يسهل ترديدها
وغناؤها.

- الشاعر فؤاد بدوي:

له عدة دواوين للأطفال وتتميز بالسهولة والسلاسة.. يقول في إحدى قصائده:
الأطفال ربيع الدنيا
بسمة نور
نسمة سحر
تسري .. تجري
يا ربي .. يا واهب عمري
اجعل أيامي أزهارا
تنمو بحديقة أطفال.

- الشاعر أحمد فضل شبلول:

اهتم بشعر الأطفال دراسة وتحقيقًا وإبداعًا.. يقول في قصيدته (كرة):
تدور العين في الملعب

على الأقدام والجبهة
وتجري الساق
وفوق العشب عند قوائم المرمى
يدور سباق
وألعب لها فن
وتخطيط له علم
وساحرة على الأعناق
هتافات ترج مقاعد الإستاد
وتصفيق وتهليل
إذا اهتزت شباك الخصم
ونال فريقنا القومي
كئوس النصر
وتشرق شمس نهضتنا الرياضية
وتسبح في بحار الفخر
- فوزي خضر:

تعدد عطاؤه بين الشعر والكتابة للإذاعة وثقافة الأطفال .. يقول في قصيدته عن

أبنائه الثلاثة:

كل قلوب الناس

أقسام أربعة
فأذنين أيمن
وأذنين أيسر
وبطين أيمن
وبطين أيسر
لكن قلبي قسم لثلاثة أقسام
قسم لمحمد
قسم محمود
قسم لشروق
كل صباح أسعي من أجلهم
أعطي كلا منهم قسمته
من نور القلب

- أحمد مبارك:

أبداع بعض الدواوين والمسرحيات الشعرية لأطفال.. يقول في إحدى مسرحياته:
بعد اللعب سأرجع لاستنكاري
أما الآن سأمرح وسأقطف بعض الأزهار
وأصيد فراشات
وسأصعد فوق الأشجار

وسأفعل ما يحلو لي

. أما الشاعر حسين علي محمد :

متعدد الألوان فى الإبداع .. فقد كتب الشعر - قصائد ومسرحا- كما أن له محاولات نقدية ودراسية - لا بأس به - وفى ديوانه (الحلم والأسوار) الذى صدر عن المجلس الأعلى للثقافة (1984) خاض الكتابة للأطفال شعرا فى ثلاث قصائد أفرد لها بابا فى نهاية الديوان وهى:

1-الفيل الوفي: فهو فيل وافق أن يساعد السيدة (دايارام) الأرملة التى تقترب من الخمسين .. وأصبحا صديقين حتى فاض النهر على القرية والعجوز نائمة فى كوخها .. فينبهها الفيل إلى الكارثة .. لكن النهر لا يغرق إلا جارا ظالما للعجوز كان قد استولى على أرضها .. يقول الشاعر فى قصيدته القصصية على لسان الفيل الوفي:

ذات مساء كان شديداً الإظلام

فاض النهر ..

وأغرق أرض الوادي كله

كانت دايارام المسكينة نائمة فى الكوخ

فطرق الباب ..

وأشرت إلى النهر

لكن المسكينة ضحكت

كانت تحسب أن النهر أتى بالخير

ورأيت البسمة تعلو شفيتها .. فصرخت

وتنبهت المسكينة ساعتها

حملت ما تقدّر .. ركبت فوقى ..! (وهكذا)

2- ملجأ الأيتام: وهي قصة هندية وقعت في بلدة (فاناراسى) لصانع سجاد

يسمى (فوندان) الذى يحكى للملك قصة تجعله يبني ملجأ أيتام للأطفال

الفقراء العرايا .. ومنها يقول فوندان:

تعرفني كلُّ المدنِ

وتعشّقُ مصنوعيّاتي

في أثناءِ الأسفار

أجدُ الأطفالَ عرايا

يفترشون ترابَ الأرضِ

فأحزن

أتمنّى أن يجدَ الأطفالُ بيوتا

تحميهم من حرِّ الشمسِ

وتقيهم شرَّ الأمطارِ

وهناك أجيال من الشباب الذين وضعوا أقدامهم فوق هذا الطريق لكنهم لم تكتمل

تجربتهم.. برغم من أنهم يحاولون بمذاق مختلف.. وأسلوب يؤكد استمرار هذا الفن النبيل..

3- الثور العجوز: وهذه قصة شعرية تتحدث عن العدالة حتى لو طلبها حيوان مثل (الثور) يشكو معاملة صاحبه السيئة .. فقد استطاع الثور أن يضرب الجرس الذى يوقظ السلطان وينبهه إلى أن شاكيا يريده .. ويعرف السلطان معاملة (بيليتز) السيئة للثور .. وينصفه السلطان ويأمر بيليتز بأن يوفر للثور أسباب الراحة، يقول الشاعر:

أخذ الرجلُ الثورَ .. وعاد

لحظيرته ..

صوتُ السلطانِ يرنُ بأذنَى بيليتز:

يا بيليتز: تعلم أن تحترمَ الطاعنَ فى السِّن

وتوفرَ سبلَ الراحةِ له

وخصوصًا لو كان من الحيوانِ الأعجم

لا يعرفُ أن يتكلم

كم من جاهل

نُبصرُهُ يضربُ تلكَ الحيواناتِ بلا رحمة

مع أن الحيوانَ يُوْدَى أعمالاً صعبة

لا يطلبُ أجره ..

لو نطقَ لكشفَ لنا .. ظلمَ الإنسانِ وشرَّه ..

وأعتقد أن الشاعر لديه أدواته الجيدة التي يستطيع من خلالها أن يضيف الكثير إلى شعر الأطفال خاصة مضامين من تراثنا العربي .. سواء على مستوى القصيدة أو القصة أو الدراما الشعرية.

تجربتي في شعر الأطفال ... أحمد سويلم

دعونا نبدأ بتأكيد - دون تحيز - وهو أن الشعر أسبق الفنون إلى وجدان الطفل.. فالطفل يولد مزودا بحاسة إضافية يدرك بها ما في الأعمال الفنية من سحر وجمال.. كما أن النغم والموسيقى الكلام يسبقان إدراكه لمعاني هذا الكلام وألفاظه المفردة. والدليل على ذلك أن أول صوت يدركه الطفل هو صوت الأم .. خاصة حينما يبكي فتندفع إليه أمه لتهدئه أو تهز مهده الصغير في رقة مصحوبة بموسيقى صادرة من قلبها تنسجم مع إيقاعات هذا المهد الصغير.. وتسمى هذه الأنغام العذبة التي تهدد بها الأم طفلها (المناغاة).. ويترجم ذلك بما يسمى بأغاني المهد.

لقد أدرك الشعراء - منذ بدأ الشعر - تأثير هذا اللون من الأدب على الأطفال فالشعر يكاد يترجم حركات الطفل التلقائية.. ولغته الأولى.. وأجهزة وعيه وشعوره. وتؤكد الدراسات أن الصياغة الشعرية المغناة تبقى في وجدان الطفل إلى أزمان طويلة .. ومن ثم فكما نجحنا في صياغة كثير من القيم في مقطوعات شعرية شائقة يسهل حفظها وترديدها.. كلما أنشأنا طفلا متذوقا للجمال. الشعر إذن يمكن أن يقدم من المهد إلى اللحد .. وعلى الشاعر أن يفهم سيكولوجية الطفل.. ويقدم له الشعر بلغة سليمة وإيقاعات بسيطة في مجزوءات البحور التي تتسم بعدم التعقيد.

ولا نريد أن نستغرق في تاريخ الشعر المقدم للأطفال .. سواء في الشرق أو في

الغرب.. فهذا أمر يعرفه الجميع.. لكن الأمر يصبح أكثر أهمية فى أيامنا .. ونحن نعيش عصر العلم والتكنولوجية ونظن أن هذا العصر يزيح جانبا الفن الجميل والشعر ليفسح المجال إلى الحقائق دون الخيال.. وإلى العلم دون الفن والجمال.

ومنذ الثمانينيات من القرن الماضي وأنا أغوص فى هذه القضية.. وأحث أصدقائي الشعراء على الكتابة للأطفال.. والحق يقال إن عددا كبيرا من الشعراء قد استجاب لهذه الدعوة وأخذ يبدع وينوع فى أعماله الشعرية بالفصحى أو العامية وفى قوالب مختلفة ابتداء من المقطوعة القصيرة مروراً بالقصيدة .. وانتهاء إلى المسرحية الشعرية. واليوم يمكن أن نؤكد باطمئنان وجود هذا التيار الفني الجميل فى الساحة الأدبية.

وقد بدأت رحلتي مع شعر الأطفال بدراسة علمية بعنوان **{أطفالنا فى عيون الشعراء}** طبعة أكثر من مرة.. وفيها أرصد شعر الأطفال تاريخياً وفنياً منذ الحضارات القديمة حتى عصرنا الحديث .. وذيلت هذه الدراسة بدعوة الشعراء للإقبال على هذا الجنس الأدبي الجميل.. وكانت الطبعة الأولى فى سلسلة [أقرأ] بدار المعارف.

ثم تتابعت دراساتى فى مجال أدب الأطفال فأصدرت **{التربية الثقافية للطفل العربي}** 1993 - و**{الفكر الإسلامى فى ثقافة الطفل العربى}** 1997 - و**{إطلالة على عالم البراءة}** 2014.. وقد حققت أشعاري الهواري.. وأصدرت أشعار شوقي للناشئين.. وبحوث أخرى متنوعة.

أما تجريبي الإبداعية فقد بدأتها عام 1981 بخمس قصص من ألف ليلة وليلة
برسوم الفنان مصطفى حسين.. ثم انصرفت إلى الشعر.. وكتبت أول مسرحية
شعرية بعنوان **{حكايات وأغاني كامل كيلاني}** وعرضت على المسرح في ديسمبر
1982 - وقدمت بفن العرائس وألحان الفنان القدير جمال سلامة.

وتسلحت بالجسارة والطفولة معا.. وبدأت مع المرحلة المبكرة للطفولة وأصدرت
{ديوان الطفل العربي} يضم عدداً كبيراً من الأغنيات القصيرة باللغة الفصحى
المبسطة.. وتدور حول عالم هذا الصغير ببساطة وتلقائية.. وقام بتلحينها الفنان
هاني شنودة ومنها على سبيل المثال:

لي وزة وبطة

وأرنب وقطة

هم أصدقائي كلهم

وعند أختي مثلهم

هم يملئونني فرحا

ومتعة ومرحا

أو أقول:

كوك كوك كوك

هذا صوت الديك

يشدو كل صباح

حيي على الفلاح
طلعت شمس اليوم
فوداعاً للنوم

أو أقول:

لي صاحب وغيّ
لا يستطيع المشي
يمشى بعكازين
ولا يريد العون
أحب أن ألقاه
دوما لا أنساه

كما دارت مقطوعات أخرى حول جمال الطبيعة وألعاب الطفولة والصدقة وقيم النظام والتسامح والمدرسة والبيت.. وغيرها.

من الدواوين التي تلائم المرحلة التالية: ديوان **{أحب أن أكون}** حيث قدمت للطفل المهن المختلفة بأسلوب شعري بسيط تشبع حلم الصغير في المستقبل. ولأن الطفل يحب الحيوان فقد رأيت أن أغذى فيه هذه العاطفة النبيلة.. فأصدرت له ديواناً بعنوان **{أتمنى لو}** وجعلته يتمني لو يكون طائراً جميلاً أو حيواناً طيباً.. ومن ذلك مثلاً:

أتمنى لو أنى عصفور

أَلْعَبُ .. أَلْهُو .. وَأَغْنِي لِلنُّورِ
وَأُنْقِرُ فِي الصَّبْحِ نَوَافِذَ
أَصْحَابِي الظُّرْفَاءِ
وَأُغْرِدُ .. وَأَقُولُ:
صَبَاحَ الْخَيْرِ .. صَبَاحَ النُّورِ ..
أَوْ أَقُولُ:

أَتَمْنِي لَوْ كُنْتُ حِصَانًا عَرَبِيًّا
أَمْشِي بِشَمْوْخٍ وَسَعَادَةٍ
أَمْنَحُ أَصْحَابِي حَبًّا وَحَنَانًا
أَنَا لَسْتُ جَبَانًا
لَا تَوَقَّفَنِي أَسْوَارٌ وَجَسُورٌ
تَارِيخِي نَصْرٌ .. وَشَهَامَةٌ
وَصِفَاتِي جُودٌ وَكِرَامَةٌ

أَوْ أَقُولُ:

أَتَمْنِي لَوْ أَنِّي أَسَدٌ فِي الْغَابَةِ
أَحْكُمُ بِالْعَدْلِ وَبِالْإِحْسَانِ
عَلَى كُلِّ الْحَيَوَانَاتِ
حَتَّى يَنْتَشِرَ الْأَمْنُ بِكُلِّ مَكَانٍ

حتى تصبح كل الحيوانات

صحابية.!

وأصعد في المرحلة العمرية وأصدر عام 1999 ديوان {أنا وأصدقائي} وهو يقدم

مواقف الطفل في هذه المرحلة مع مفردات عالمه مثل:

أنا والوردة - أنا والقطة - أنا والموسيقي - أنا والمكتبة - أنا وملابسي - أنا

وعصفوري - أنا والكرة - أنا وحقيبتي - أنا والطريق - أنا ولعبتي المفضلة -

أنا ومدرستي - أنا والكومبيوتر.

وأحاول في هذه القصائد أن أعرض لموقف يحدث بين الطفل وهذا الصديق أو

هذه الصديقة بما يحفزه على حب الحياة وحب عالمه الجميل.

وفكرت أن أربط الطفل بتراثه الأدبي وهويته العربية .. فصغت بعض الأمثال

العربية شعراً بسيطاً مفهوماً.. في ديوان {يقول المثل العربي} من ذلك مثلاً: {الجار

قبل الدار}:

عليك أن تختار

الجار قبل الدار

والصاحب الأمين

من يحفظ الأسرار

ومن يهبُّ لك

في الليل والنهار

عليك أن تختار

الجار قبل الدار

وفى رؤية شعرية أخرى أصدرت ديوان **{فلسطين عربية}** وكتبت على كل حرف من هذا العنوان قصيدة خاصة: فقصيدة أولها ألفاء وثانية أولها لام وثالثها أولها السين وهكذا.. فمثلا كتبت فى حرف (السين):

سقط محمد فى القدس شهيداً

ووفاء.. ومروان

ونضال وعدنان ولمياء

سقطوا شهداء الحق

وروا بدماهم أرض الآباء

وتعانق فوق قباب الدين

هلال وصليب

يا أهل الحق الساطع

ندعوكم أن يتوحد فيكم هذا العزم

فى وجه عدو الدين الغاشم..

إخوتنا الشهداء:

معكم بالروح وبالدم

لنعيد لواء الآباء

ومن الدواوين الشعرية التي تخاطب ما قبل مرحلة المراهقة ديوان {أحلامي الجميلة} وهو ديوان متنوع الموضوعات يقدم عالم هذه المرحلة وعلاقة الطفل بالأشياء والطيور والحيوانات.. ويقدم له أحلامه.. ويفسر له معاني بعض الأسماء (شعراً).. ويكفى أن أذكر هنا عناوين القصائد: من أنا - نادي - الكتاب وأنا - أحب الأصوات - أحلامي الجميلة - الطيور والشتاء - عاشت الأسامي - أغاني النيل الحزين - حكاية الطيور المهاجرة - ألغاز عن الحيوان. ومن هذه الألغاز مثلاً أقول:

يحمل أنقلا.. لا يتمرد

ويطبع الإنسان ولا يتردد

وله ذاكرة أقوى من كل الحيوانات

وله وجحا.. قصص وطرائف

وله في القرآن والإنجيل

مواقف أخرى

ويعيش بكل مكان فوق الأرض

هذه نماذج للدواوين الشعرية - وهي أكثر من ذلك..

كما حاولت أن أكتب قصصاً شعرية عن الحيوان مستمدة من كليلة ودمنة في أكثر

من إصدار منها: واحة الحيوان - وبستان الحكايات.. وهي تعتمد على السرد

والحوار معا.. مثلاً كتبت قصة {الصديق والعدو} هكذا:

كان الأسد صديقاً للدب
يربط بينهما الحب
ويسيران معا في كل مكان
وذات صباح حار
شعرا بالعطش القاتل
فانطلقا في الغابة بحثا عن ماء
حتى وجدا نبعاً
وهنا اختلفا: من يشرب قبل الآخر
وتستمر الحكاية ويتشاجران فيحوم فوقهما نسور الغابة.. فيقول الدب للأسد:

إن نسور الغابة
تنتظر الآن
حتى أحد من الآخر
فتنقض على المهزوم وتلتهمه
ويفبق الأسد.. ويكف عن المشاجرة.. وتتصرف النسور حين أتفق الأصحاب على
الخير.. وتركوا العدوان.

وجربت بعد نجاح المسرحية الشعرية الأولى {حكايات وأغاني كامل كيلاني} أن
أكتب المسرحية المستمدة أيضاً من تراثنا.. بعضها على أسنة الحيوان.. وبعضها
قصصاً عربية.. وسمحت لنفسي أضيف إلى المضمون ما أشاء من رؤية العصر.

وكتبت حوالي خمسين مسرحية شعرية طبع بعضها وقدم بعضها في التلفزيون المصري.

هذه تجربتي مع شعر الأطفال حتى الآن .. تلك التجربة التي لم أصدق مناسبتها للأطفال إلا بعد عرضها وتجربتها معهم أنفسهم في لقاءات مستمرة.. أو فوق المسرح. والواقع أن كتاب الأطفال مطالبون بأن يعرفوا [ماذا يريد الأطفال] وليس [ماذا نريد نحن للأطفال].

إن طفل اليوم ليس هو طفل الأمس .. ومن ثم فإنه اليوم يريد منا ألا نفترض غبائه ونحن نتعامل معه.. فطفل اليوم رجل - صغير السن - له حقوقه التي تتلاءم مع مراحل عمره.. وهو يريد منا أن نساعدته بإخلاص على تنمية ملكاته وقدراته وخياله ليستمتع بحياته. وهو يريد منا أن نيسر له لغته العربية لكي يحبها ولا ينفر منها إلى اللغات الأجنبية.. أو لغة الشاشة الزرقاء..

وهو يريد منا أن نعرفه على تاريخه ببساطة وبتشوق.. لنعيده إلى هويته مع الأخذ بأسباب العلم والتكنولوجيا الحديثة والمعارف الأخرى التي تضيف إلى عقله الكثير. وهو يريد منا أن نقدم له ألوان الثقافة الأدبية والخيال العلمي بلا خوف.. ونهتم بالشعر والموسيقى والمسرح تماماً كاهتمامنا بالكتاب القصصي.. حتى نغذي خياله ووجدانه ووعيه..

وهو يريد منا أن نستطلع رأيه قبل وأثناء وبعد أن نقدم له ما يريد عن طريق ورش عمل والمؤتمرات.. واللقاءات المستمرة.

وهو يريد أن نقدر إبداعه في المجالات المختلفة ونهتم بما يبدع..
وهو يريد أن ننتمي له وندقق في ترجمة ما يتوافق مع ثقافته الخاصة فيحدث
التفاعل والتوازن بين ما يقدم له من ثقافته وثقافة الآخر.
وهو يريد منا- إذا كان من أصحاب الظروف الخاصة الذين امتحنهم الله في واحدة
أو أكثر من حواسهم - أن نشعره بأهمية الإرادة الإنسانية والمقدرة على تحدي هذه
المحنة والصبر والشجاعة.. وقهر العجز.. ونشعره بالمساواة ونسوق له النماذج
الناجحة في التاريخ..
إن الطفل يبدأ به كل شيء..
الثقافة تبدأ بالطفل
وعلينا أن نسير ذلك ابتداء من المرحلة المبكرة حتى ينشأ الطفل نافعا فاعلا في
المجتمع..

تبسيط التراث شعرا للأطفال

الأمثال الشعبية نموذجا

يقول الميداني في كتابه (مَجْمَع الأمثال):

* المثل مأخوذ من المثل .. وهو قول سائر يُشَبَّه به حال الثاني بالأول.. والأصل فيه التشبيه. وسميت الحِكم القائم صدقها علي العقول أمثالا.. لانتصاب صورها في العقول.

ويجتمع في المثل أربعة عناصر لا توجد في غيره من ألوان الكلام : إيجاز اللفظ.. إصابة المعني.. حسن التشبيه.. وجود الكناية.

ويقول ابن المقفع: إذا جُعِلَ الكلام مثلا .. كان أوضح للمنطق .. وأنق للسمع .. وأوسع لشعوب الحديث.

ويعرف محمد رضا المثل بأنه خلاصة تجربة إنسانية.. ومحصول خبرة البشر.

أما أحمد أمين فيقول: المثل نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ.. وحسن المعني.. ولطف التشبيه.. وجودة الكناية.. لا تكاد تخلو منه أمة من الأمم.. وميزة الأمثال أنها تتبع من كل صفات الشعب.

وتقول د نبيلة إبراهيم : المثل يتفق مع طبيعة الحياة لأنه مجموعة من المدركات والأحوال والتجارب المتنوعة.. وهو ليس ذا طابع تعليمي صريح .. ولكنه غير مباشر.

ويعرفه في الغرب آرثر ميللر بأنه أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية.. يوحى بعمل معين.. أو يصدر حكماً علي وضع من الأوضاع .. وهو يعبر عن حقيقة مألوفة صيغت في أسلوب مختصر سهل حتي يتداوله جمهور واسع من الناس. من هذا.. ندرك أن المثل تجربة إنسانية يعبر عنها بإيجاز.. ويصلح العمل بها في أي زمان ومكان.

وفي تراثنا العربي والإسلامي نجد الأمثال تشكل جانباً مهماً في هذا التراث.. وتقدم لنا تجارب متنوعة تظل خالدة علي مدي الزمان.

فالقُرآن الكريم مملوء بالأمثلة التي تدعو إلي التفكير والتأمل.. وهي كثيرة تذكر منها علي سبيل المثال: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) العنكبوت/ ٤٣، ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) إبراهيم/ ٢٤، (وضرب لكم مثلاً من أنفسكم) الروم/ ٢٨ (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يبصرون) البقرة/ ١٤_١٨ (مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون) البقرة/ ١٧١

(إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتي إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون

عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس) يونس/ ٢٤

ويحذر الله تعالى أن يضرب به المثل فيقول:

(فلا تضربوا بالله الأمثال) النحل/ ٧٤

أما السيرة النبوية فنجدها أيضا حافلة بالأمثال ومنها:

(مثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر.. ومثل

المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها)

ومنها أيضا:

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعي

له سائر الأعضاء بالحمي والسهر)

ومنها أيضا:

(مثل العالم مثل العطار إن مررت به وجدت رائحة الطيب)

وهناك تصنيفات كثيرة للأمثال الشعبية من أشهرها: مجمع الأمثال للميداني..

للأمثال الفصيحة.. والأمثال العامية لأحمد تيمور.

وحيثما عشت في ظلال هذه الأمثال في القرآن والسنة والتراث سألت نفسي : لماذا

لا نقدم بعض هذه الأمثال للأطفال.

وبالفعل أنجزت تجربتين الأولى : أمثال وحكايات.. وهذا الكتاب يقدم ثلاثين مثلا

عربيا وثلاثين حكاية وراء المثل.. وقد حرصت علي اختيار الأمثال والحكايات

التي تغذي عقلية الصغير بالقيم والسلوكيات الإيجابية.

أما التجربة الأخرى فقد كانت بعنوان : يقول المثل العربي : وتتضمن عشرين مثلاً في عشرين قصيدة شعرية سهلة بسيطة التعبير لها إيقاع موسيقي يمتع الصغير ويجعله يرددّها بيسر وسهولة.

وقد حرصت أيضاً في هذه التجربة الشعرية علي اختيار المثل القريب المفهوم الذي يعبر عن السلوك والعادات والقيم النبيلة. هذه بعض الأمثال:

(الطبع يغلب التطبع)

يغلب الطبع علي أهله

ويجيء الشيء من أصله

أن يكن في طبعه صالحاً

عاش طول العمر في ظله

وإذا القلب أتى أسوداً

ظل مطويّاً علي ليله

إنما الناس صنوف فلا

تبعدوا الإنسان عن أصله

(لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)

لا يلدغ المؤمن مرتين

وليس يسعي نحو محنتين

يأخذ من تجارب الحياة

حصنا لعينيه ولليدين

يحذر الشر الذي أذاه

ويشكر الرحمن رب الكون

(الطيور علي أشكالها تقع)

علي أشكالها تقع الطيور

خبيث أو أليف أو أمير

ونحن الناس أشكال كثير

حمام أو ذئاب أو صقور

وتلك الأرض في فلك تدور

فيظهر ما يغيم وما ينير

صدقتم أيها الأجداد قلتم

علي أشكالها تقع الطيور

(الطمع يذهب ما جمع)

يحصد الإنسان دوما ما زرع

إن دعا الله وصلي وخشع

خصه الله بخير متسع

وإذا ألقى هواه في الطمع

في غد يذهب عنه ما جمع

(من حفر حفرة لأخيه وقع فيها)

إن تحفر لأخيك الحفرة

تسقط فيها ..

وإذا تحسد أحدا مرة

تندم فيها ..

تلك الحكمة يا أصحابي

بمعانيها ..

(الجار .. قبل الدار)

عليك أن تختار

الجار قبل الدار

الصاحب الأمين

من يحفظ الأسرار

ومن يهبُّ لك

في الليل والنهار

عليك أن تختار

الجار قبل الدار

(كل إناء بالذي فيه ينضح)

الناس كالنجوم

لامعة.. وغائمة

والناس كالمعادن

زائفة.. وسالمة

وكالإناء ينضح

كريمة وآثمة

الحكمة القديمة

إلي السنين القادمة

(لكل جواد كبوة)

لا يفلت العالم من هفوة

ولا نحا الجواد من كبوة

والفارس القادر مهما مضي

بسيفه لأبد من نبوة

فوحده الله الذي يمتلك

عالمه بالفضل والقوة

(لا يفل الحديد إلا الحديد)

لا يفل الحديد إلا الحديدُ

لن تنال المني وأنت بليدُ

واجه الصخر بالصخور قويا

لا تخيف الأسودَ إلا الأسودُ

وإذا الرأي لم يناصره فعل

صار قولاً مجرداً لا يفيدُ

وأخيراً..

تلك كانت تجربة شعرية تؤكد قدرة الشعر علي حمل قيم التراث وتبسيطها للقارئ

الصغير ومحاولة إعادته لهويته وتراثه العظيم

السير الشعبية وأدب الطفل

خلفت الإنسانية على مدي تاريخها الطويل تراثاً كبيراً ثرياً من الحكايات والنوادر والقصص والملاحم التي تنتمي إلى الإنسان جيلاً بعد جيل.. وهى تتضمن أفكاره وقيمه وسلوكه وثقافته وعقائده.

وقد اختلف العلماء المهتمون بدراسة الموروث الشعبي فى تعريفه.. وبعيداً عن هذا الاختلاف فإن الموروث يحمل فى ثناياه الملامح النفسية والفكرية للمجتمع الكبير فى أي عصر من العصور.. وهو الذى يصوغ الإطار العام ويحدد العلاقات بين الفرد والجماعة . صغيرة كانت أم كبيرة . إنه التراث الذى يعنى الثقافة أو العناصر الثقافية التي تلقاها جيل بعد جيل وتدلنا على ذلك تلك التفسيرات المختلفة التي تدور حول (التراث) منها: التراث الشفوي.. ويعني جميع جوانب المأثورات الثقافية التي انتقلت شفويًا.

الإبداعات الأدبية الشعبية.. وتشكل جانباً مهماً من جوانب التراث الشعبي، وتشمل السير الشعبية والحكايات والأغاني والشعر والأغاز.. وغيرها . التراث الشعبي.. وهو يمثل عامة الموضوعات التي تنتمي إلى الفلكلور.. وإلى دراسة التراث أو الإبداع الشعبي.

ويبدو أننا يمكن أن ننفذ أنفسنا من هذا الغرق بين المصطلحات بمفهوم يقودنا فى مسيرتنا.. وهو أن الموروث الشعبي هو محصلة الثقافة الشعبية المتراكمة المتنقلة من أقدم العصور.. والمسايرة لتاريخ الشعب على مر العصور وتنوع مظاهر

حياته.. وهذا الموروث هو الذى يحافظ على دعامة الأصالة ولا يقف فى وجه التقدم العلمى والتكنولوجى.. بل يساعد عليه بالمعرفة الصحيحة بطبيعة الإنسان وجوهر الإنسانية والتكامل الحيوى بين الفرد والمجتمع.

وليس من اليسير أن نفصل بين الوسائل المختلفة التى تستخدمها عناصر التراث الشعبى .. ذلك لأن هذه الوسائل تتداخل بتدخل الوظائف .. فمجال الفنون الزمنية والتشكيلية يتشابك إلى حد كبير وتتداخل التقاليد والعادات فى أشكال الفنون الشعبية والمضامين.

وطبقاً لهذا التحليل الشامل فإن الموروث الشعبى يهتم بالعادات الشعبية . والمعارف الشعبية . والأدب الشعبى . والفنون الشعبية . والثقافة المادية.

ولكل أمة موروثها الشعبى الذى يحرص كتابها على تقديمه لأبنائها صغاراً وكباراً . ومهما اختلفنا على إشارات وأشكال هذا الموروث فإن من أهم صفاته الاحتفاظ بما يتفق مع التطور .. والاستغناء عما يتعارض معه.. وتعديل ما يستحق أن يعدل.

لهذا فإن عناصر هذا الموروث وأبطاله ورموزه وسيره وعاداته.. تخترق الزمن.. فيصل إلينا منها ما يحمل دلالات العصر.. وما يمكنه أن يعيش فى الوجدان العام بصرف النظر عن عنصرى الزمان والمكان.. وهى معطيات تحتفل بالقيم العليا التى تسود المجتمع الإنسانى..

ويعد الأدب الشعبى أهم حلقة من حلقات الموروث الشعبى.. وتعتبر (الحدوتة)

الشعبية أول لون من ألوان السرد القصصي عرفته الإنسانية فى طفولتها الأولى..
فقد نشأت الحدوتة مع قدرة الإنسان على الكلام فى إطار ذلك المجتمع البدائي
المحدود.. والذى كان يضم الرجل والمرأة ويضم مالهما من أولاد صغار..
ولا نستطيع أن نزعم أن الحدوتة فى ذلك المجتمع البدائي كانت عملاً عقلياً
وفكرياً .. ولكنها كانت عملاً فطرياً دفعت إليه غريزة البقاء.. فقد نشأت فى إطار
التحذير والتخويف من الضرر.. وتوجيه الأوامر والنواهي لتجنب الخطر.. ومن ثم
تعتبر الحدوتة أول عمل تربوي عرفته الإنسانية منذ بدأ الإنسان يحس بكيانه فى
هذا الوجود.

ويؤكد الكاتب الإنجليزي (هـ. ج. ويلز) أن الرجل المسن فى محيط الأسرة ومركزه
فيها كان موضع احترام الجميع.. ومن هنا كانت بداية الحكمة الاجتماعية والسلوك
التربوي فى المجتمع الأول.. فقد بدأت الأمهات يغرسن فى نفوس الأبناء الصغار
احترام الرجل المسن وتقديره.. لأنه الكبير ولأنه الحكيم.. وربما مثل هذه البذرة
الأولى للرأي الحكيم أو الحكاء..

واعتمدت الحدوتة على أبطال من البشر والحيوان.. وجعلت الحيوان يتكلم ويغضب
ويفرح ويخادع ويناور ويرضي.. تماماً كما يفعل الإنسان.

ثم جاءت الحكاية الشعبية بعد الحدوتة بعد أن نمت فى الإنسان القدرة على السرد
والقصص والتخيل والمحاكاة والتعبير.. وبعد أن صارت له تقاليده وعاداته.
والحكاية تدور على أسنة شخص أو أشخاص يمثلون نموذجاً إنسانياً.. متميزاً..

"فجحا" مثلا يمثل الضاحك الباكي.. و"قراقوش" يمثل الحاكم الظالم.. و"أيسوب" يمثل حكمة القدماء.. وهكذا.

أما السيرة الشعبية فهي حكاية شعبية طويلة ذات حلقات وفصول.. وهى تشمل حقائق لا سبيل إلى إنكارها.. وتشمل كذلك خرافات أو خيالاً محضاً لا سبيل إلى إثباته.

ولعل واضعي هذه السير لم يقصدوا إلى التحقيق والتدقيق.. بل اهتموا بمغزى القصة وتأثيرها وغاياتها التربوية وقيمتها..

فإذا كان المراد تحقيق أي غرض من هذه الأغراض.. فلا بأس لديهم ن يضعوا إلى جانب عنتره أو سيف بن ذى يزن، أو حتى هارون الرشيد أشخاصاً جاهلين.. وأشخاصاً آخرين عاشوا بعد البعثة المحمدية بسنوات طويلة.. من ثم ينضمون هؤلاء جميعاً فى سلك واحد دون النظر إلى فوارق الزمان والمكان.. وبذلك يتحقق الغرض التعليمي مثلاً..

وإذا كان الغرض الأخلاقي يتحقق بأن يصرع أبو زيد ألفاً فى معركة واحدة فإنهم يقيمون هذه المعركة من العدم.. ويصرعون ألفاً بضربات السيف وطعنات الرماح.. بل وبدقات الدبابيس..

ولذا فالتاريخ الذى تصوره هذه القصص ليس كالتاريخ الذى نعرفه ونقرؤه فى مراجعه الدقيقة.. ونصححه على ضوء الوثائق والآثار والشواهد.. بل هو تصوير للحياة الوجدانية التى عاشها العامة فى ظل أحداث كبيرة أو فى ظل شخصيات

كبيرة.

ويتراوح أسلوب السير بين النثر والشعر ويدور حول البطولات والفروسية والحروب ولهذا فهي تشتمل على أشعار ملحمية.

وأهم أبطال السير الشعبية: عنتر بن شداد . سيف بن ذي يزن . أبو زيد الهلالي . على الزئبق . الأميرة ذات الهمة . الظاهر بيبرس . حمزة البهلون . فيروز شاه . أحمد الدنف .. وغيرهم كثير لم يصل إلينا..

وقد جاءت السير الشعبية تصويراً حياً للبطل العربي الذي لا يقهر، وتتضافر هذه الصورة مع الأبطال الجانبيين في محاربة الشر الذي يرمز له ويسمي في السير بالكفر والخروج على الدين ومناصرة عبادة الأوثان.

فكان فكرة الخير والشر قد تشكلت في هذه السير تشكلاً إسلامياً يتألف مع العقيدة الإسلامية ولا يختلف معها..

ولهذا تقسم السير إلى عالمين: عالم المؤمنين وعالم الكفار والملحدين.. وأيضاً تسوق إلينا عالم الجن والشياطين والسحرة والكهان بين الإيمان والكفر.. ومن ثم تدور المعارك.. وتضيق المواقف وتتفرج في تشويق بالغ وتصوير دقيق وخيال ممتع..

ونلاحظ أن السير تتميز بالطول ولهذا تروي على حلقات.. وقد أثمر هذا الطول

عند المحترفين مجموعة من التقاليد القصصية التي تقترن بالسير الشعبية.. من ذلك استهلال السمر وختامه بالصلاة على النبي مع تأكيد صفته العربية ثم النص على تأثير الشاعر أو المحدث إلى حد البكاء من المتلقين.

ويعكس بطل السيرة حقيقة العلاقات التي تربط الجماعة في المجتمع الذي أنشئ فيه العمل الأدبي.

أما بطل السيرة فهو بطل درامي يعبر عن الفرد وسط دوامة الصراعات مع القوي الأخرى تعبيراً فنياً.. وإما بطل أسطوري يتمتع بإمكانات لا تعرفها الطبيعة البشرية المحدودة.. فهو يستعين بالقوة الغيبية الخارقة كالسحر والكهانة والآلهة والشياطين.. وأيضاً بالقوي الجسدية غير المحدودة.. ويسخر الحيوان والرياح والماء في خدمته، وإما بطل ملحمي فردي يعكس موقفاً بذاته لكنه يعبر عن الجماعة وموقفها.

وربما تجتمع هذه النماذج جميعاً في بطل السيرة.. أو تجتمع بعضها دون الأخرى، ومجمل القول إن السيرة الشعبية وإن كانت تتكى على التاريخ والحقائق لكنها ليست ثباتاً تاريخياً لأحداث حياة البطل أو العصر.. ولذا يمكن أن نعتبر قالب السيرة أصلاً للرواية في شتي صورها وبشتي أنواعها ونستطيع . تجاوزاً . أن نجعلها رواية لا تاريخية ولا خيالية ولا واقعية.. إنما نطلق عليها (الرواية).. أو (الرواية السيرة). وبذلك يمكن أن تكون سيرة عنتره رواية من نوع السيرة يغلب عليها الطابع التاريخي.

السيرة الشعبية فى عالم الصغار

تعتبر السيرة الشعبية.. إلى جانب كل ما يدخل تحت الموروث الشعبي.. من مصادر أدب الأطفال.

وبالرغم من أن السيرة الشعبية التى وصلت إلينا قليلة العدد، إلا أن الكتاب قد أقبلوا عليها يقدمونها فى أشكال مختلفة من التبسيط والتيسير والتلخيص.. وكان من أهم الكتاب الذين عنوا بالسيرة الشعبية للكبار والصغار وللناشئة: محمد سعيد العريان . محمد أحمد برانق . عباس خضر . فاروق خورشيد.. وغيرهم.

ونلاحظ أن السيرة الشعبية باعتبارها أدباً شعبياً يمكن أن يكون لها عدة وظائف أهمها:

- 1. وظيفة ثقافية..** فالأدب الشعبي ليس مجرد تسلية أو متعة أو ترفيه.. ولكنه زاخر بالمعارف العامة التى يحصلها الطفل من الإطار الاجتماعي الذى يحيط بهذا الأدب مثل المواقيت وأسماء الشهور والأماكن والمناخ وغيرها..
- 2. وظيفة جماعية أو قومية..** وهى الوظيفة التى تحافظ على التراث الجماعي من ناحية وعلى مزاياها وأمجادها من ناحية أخرى.. وهذه الوظيفة تقوم على ركيزتين أساسيتين هما:

أ/ مرحلة التطور للبيئة والمجتمع منذ بدأت السيرة من البداوة إلى الحضارة.

ب/ البيئة أي أبعاد الوطن جغرافياً.. ونوعية هذه البيئة الاجتماعية.

- 3. وظيفة نفعية..** حيث يرتبط الأدب الشعبي بمنفعة الإنسان وثروته أكثر مما

يرتبط بتحقيق القيم الجمالية أو التسلية أو تزجية الفراغ.. ولذا فهو يقدم معاني عملية وقيما تربوية مختلفة.

4. وظيفة الشعور بالذات.. الفردي والجماعي.. وهذه الوظيفة تبدو فى حكمة

الشعب المبتوثة فى أمثاله وملاحمه الكبرى التى تحكي سير الفرسان والأبطال.

5. وظيفة تفسير الظواهر.. بالمحافظة على الأصالة والقيم القديمة.

ويرى بعض العلماء أن السيرة الشعبية هى أهم الأشكال التى تصلح للطفل وهى

تعد الحلقة الكبرى فى التراث الأدبي الشعبي.. ويرون أنها بمضامينها ومحاورها

خط مشترك بين العرب.. وجميعها تستهدف التصعيد إلى مثال تحرص الإنسانية

أو الجماعة عليه كما تستهدف تثبيت القيم الإنسانية العليا بالإضافة إلى الترفيه

والتعليم..

إن السيرة الشعبية تقدم بطلها فى مراحل خمس هى:

1. مرحلة التكوين.. أى فترة ولادة الشخصية قبل ملامحها وسماتها وجذورها الأولى وما

يمكن أن يبدو عليه من الصغر من صفات تسمو وتتسع وتتلور حتى يصبح بطلاً.

2. مرحلة الفروسية.. وفيها يخلص البطل من جميع الدوافع الذاتية التى كانت تتحكم فيه

ليحل محلها دوافع أخرى تحدد تقاليد الفروسية العربية بكل مقوماتها.

3. المرحلة الأسطورية.. حيث يصبح البطل رمزا للفارس الذى لا يقهر.. وتصبح أهدافه

أهدافاً موضوعية لا ذاتية.

4. المرحلة الملحمية.. وكما هى الحال فى الأعمال الملحمية.. بعد أن يصل البطل إلى

القمة.. لا يجد أمامه إلا الطريق الوحيد إلى الانحدار مرة أخرى من القمة إلى السفح.

5. مرحلة الامتداد.. حيث تنتهي حياة البطل وتنتهي إلى جواره الخيوط التي كانت تربط

مجتمعه الخاص ومجتمعه العام فتنفك كلها وتهاوي بعد موت البطل الذي يربط بينها.. لكن موته الجسدي لا يعني موت أعماله أو قيمه أو بطولاته.. فكل هذا يظهر في أكثر من شكل وصورة.. يظهر في أبطال صغار.. أو معارك مماثلة ممتدة تتجسد فيها كلما كان يفعله البطل القديم.

ولا شك أن هذه المراحل إنما تترجم وتصور مجتمعاً كبيراً بكل ملامحه وانتصاراته وهزائمه.. طموحاته وعثراته.. ونجد فيها العادات والتقاليد والقيم التي تعيش في وجدان الإنسان غير مبالية بحاجزي الزمان والمكان..

إن السيرة تقدم صورة اجتماعية كاملة.. تسمح بأن تكون مادة متطورة مع الزمن.. وهذه السمة بالذات هي التي تغري الكاتب بتقديم السير الشعبية برؤى مختلفة للكبار والصغار على السواء.. أو كما نقول بتعبير العصر، تقديم السير الشعبية في ضوء رؤية العصر.. لأنها تتميز بالمرونة والثراء والرموز والإيحاءات والمواقف التي تمتد بدلالاتها إلى الحاضر.. ومن هنا كان الجذب وكان الإغراء بتقديمها إلى قراء العصر.. وبنفس أسلوب التعامل مع ألف ليلة وليلة أو كليلة ودمنة..

ويمكن أن يتعامل كاتب الأطفال مع السيرة الشعبية في ضوء كثير من العناصر أهمها:

1. أن السيرة الشعبية منبع خصب للخيال.

2. أنها تتميز باحتضان القيم الإنسانية والصراع بين الخير والشر وانتصار الخير.

3. أنها تقدم نماذج البطولة العربية.. تلك البطولة التي تعتمد على الشجاعة والإقدام وترفض التواكل والفشل والتعاس عن العمل القومي المنشود.
 4. أنها تقدم مواقف يمكن أن تتكرر وتوجد في أي عصر.. باعتبار السيرة.. هي سيرة نماذج إنسانية في جميع أحوالها وتقلباتها.
 5. أنها تقدم الأصالة العربية.. تلك السمة التي ينبغي أن نجسدها ونحييها من جديد وأن نتوحد في وجداننا بما تبقي من جمال الماضي.. وروعته.
 6. أنها تقدم الدراما بما فيها من عناصر الحكي والتشويق والحكمة والمتعة جميعاً.. وكلها تدخل في نكاء وجدان الصغير وعقله.
 7. أنها تقدم الثقافة والمعرفة بكل أفاقها وعناصرها.
 8. أنها تعطي أمثلة كريمة يستعين بها الصغير في مواجهة الصعاب والمواقف المعقدة.. بفكر مفتوح وقلب لا يتقهقر.
 9. أنها تجسم الرغبة الملحة في تحرير النفس والجماعة من أي قيود أو حصار أو ضغوط.
 10. أنها تجسد حاجة المجتمع إلى البطل الشعبي في كل العصور حيث يعطي البطل البعد الاجتماعي والإنساني والفني لأشهر الأحداث التاريخية التي يمكن أن تحدث في أي عصر.
- أما القوالب الفنية التي يمكن أن تقدم فيها السيرة الشعبية للصغار فيمكن أن تكون أحد القوالب الآتية:

1. تبسيط أو تيسير السيرة فى قصة متعددة الفصول أو الأجزاء.

2. تقديمها فى صورة درامية مسرحية.

3. تقديمها أو تقديم جوانب منها فى قصص قصيرة.

4. التعبير عنها شعراً.

5. تقديمها فى وسائل الأعلام المرئية والمسموعة.

وهناك ملاحظة أخيرة ينبغى أن تكون تحت عين وبصيرة الكاتب هى أن السيرة الشعبية والموروث الشعبي بصفة عامة.. يجب أن توضع تحت مشرط الاختيار والتتقية والتصفية.. بحيث نحترم فيما نقدمه عقلية الصغير وما يتناسب مع مرحلة عمره ومع مستوي إدراكه وثقافته ووجدانه.. فنسقط كل ما يطيح بقيم الصغار.. ونعمل على تغذية خيال ووجدان وعقل الصغير بكل ما يفيد وما يضيف.

رسوم الأطفال ترف أم ضرورة؟

فى مجال ثقافة الطفل وفنونه .. أفضل أن أجيب عن سؤال مهم هو: ماذا يريد أطفالنا .. لا .. ماذا نريد نحن لأطفالنا؟

وطبيعي أن تتضمن الإجابة عن هذا السؤال التعرف على احتياجات الطفل السيكولوجية .. واحترام هذه الاحتياجات .. ومحاولة إشباعها بكل ألوان الإشباع .. ومن بين هذه الألوان الإشباعية: الفنون .. رسما وموسيقى وكتابة ولعبا .. ثم مسرحا وسينما.

ومن هنا يمكن أن نبدأ بسؤال عكسي: ماذا يرسم الطفل .. ولماذا؟

وإذا استطعنا أن نجيب عن هذا السؤال .. وطلنا إلى جوهر القضية. جربوا معي أن يجلس أحدكم إلى مكتبه فى بيته ويمسك قلما .. ثم يدع طفله يدخل عليه .. إن الطفل سوف تثور فى نفسه غريزة المحاكاة .. فيطلب قلما وورقا لى "يكتب" هو الآخر .. وتكون كتابته فى النهاية شخبطة تلقائية.

إن الأطفال منذ قديم الأزل يخططون فوق السطوح الترابية والرملية ويشخبطون على الورق والألواح .. حتى إنهم يسعدون بالتحطيط على أجسادهم بالألوان المختلفة .. ويشكلون من الطين تشكيلات ودمى يتحدثون إليها ويتحاورون ويلعبون معها.

وقد يحدث أن ينهر الكبار صغارهم عن الشخبطة .. ولا يتيحون لهم الفرصة لى يعبروا عن أنفسهم ويخرجوا طاقاتهم الفنية المختزنة .. أو نراهم يعلمون الأطفال

الرسم بأسلوب آلى جاف يتنافى مع احتياجات الطفل وذاتيته وطبيعته فيصاب الطفل بالإحباط والعدوانية.

ويؤكد علماء النفس أن السلوك فى معظمه مدفوع إلى إشباع حاجات بعينها .. سواء أكان الإنسان واعيا لذلك أم غير واع.

ولابد أن الدافع الرئيسى لنشاط الطفل الفنى فى مراحل المبكرة هو مجرد المتعة واللذة وإخراج الطاقة والتعبير عن النفس. ولا شك أن الشخبطات الأولى للطفل تشبع حاجاته الأولية فتعتبر النواة الأولى لإحساس الطفل بالجمال فيما بعد.

إن الفنون البدائية التى وجدت على جدران الكهوف تؤكد سلوكيات الإنسان البدائى ومن ثم فإن تلك الفنون حينما يمارسها الطفل فإنما تعبر أيضا عن سلوكياته المنقوصة.. أى إنها فنون قد تكون موضع سخرية الكبار وتهكمهم.. لكنها فى الوقت نفسه موضع زهو وفخر من الطفل الذى قام بهذه الرسوم أو على حد قول أحد علماء النفس: أعظم ما يبدهه الطفل هو أخطأؤه. وقد أخطأ الكبار حينما حكموا على رسوم الأطفال بمقاييسهم الفنية، ومدى محاكاتها لما هو كائن فى الطبيعة، وتناسوا أن من خصائص رسوم الأطفال: التسطيح والخلط بين المسطحات والمجسمات فى حيز واحد، والمبالغة والحذف والإهمال، والخطأ فى التلوين، والنسب والخطوط وغير ذلك.

وتتوقف الفروق الفنية فى رسوم الأطفال على عدة عوامل منها:

- الموهبة الفنية.

- والذكاء.

- والتخيل.

- والثقافة الخاصة.
- والبيئة التي يعيش فيها الطفل.
- ومعاملة الوالدين.
- والمدرس والأصدقاء.

ولنا تجربة عملية من خلال ورش العمل التي نقيمها في فرع مكتبة مصر بالزيتون حيث تتضح هذه الفروق الفنية في التعبير عن الموضوع الواحد، وقد كان لبعض الأطفال رؤاهم الخاصة التي أدهشتنا في التعبير.

وترتبط الرسوم باللعب في السن المبكرة ويجد الطفل نفسه مدفوعا إلى التسلية والمتعة، وإثبات ذاته، خاصة إذا كان أمامه مجال للمنافسة. وللون إغراء عند الأطفال، فهو يثير انتباههم في سن مبكرة، لكن العلماء يؤكدون أن اهتمام الطفل بالألوان وقدرته على التمييز بينها يختلف من مرحلة عمرية إلى أخرى.

فعند الأطفال الرضع نجد أهمية التنبيه إلى اللعان والبريق الذي يميز بعض الألوان ومن سن ستة أشهر إلى أربعة عشر شهرا يميل الأطفال إلى الوصول إلى جسم رمادي. أما طفل السنة الثالثة فهو يعطى أهمية أكثر للشكل المتفق في اللون مع شكل آخر، وحينما يصعد الطفل في مراحل العمرية يعطى أهمية للشكل أكثر من اللون، وخلاصة القول هنا: إن الطفل فنان بطبيعته يمتلك القدرة الذاتية الخلاقة للتعبير عما حوله من مظاهر عالمه المحسوس في تلقائية حرة، ويستخدم الألوان للتعبير بها أيضا عن حبه وكرهه وخوفه وسعادته، وقوته وضعفه وقلقه وإطمئنانه، أي أنه يعبر عن انفعالاته الخاصة التي تعكس أوامر الوالدين وعقابهما،

وتوجيهات المدرسين والخوف من زحام الشوارع، وحبه للجمال المفتقد في الطبيعة.

إن فرصة تعليم القراءة تبدأ في الصغر كما نعلم، وتبدأ بالإشارة إلى الصور ومحاولة فهمها، ومن ثم فإن الصور في المرحلة الباكرة ينبغي أن تكون صوراً متحركة حتى يستوعبها الطفل وتشبع له غريزته في اللعب والحركة والجرى والقفز. إنه يقرأ الصورة لأنه لا يعرف الحروف، لكنه يستطيع أن يحول هذه الصورة إلى موقف أو قصة قصيرة مفهومة، فإذا رأى قطة يجرى وراء فأر، أدرك لماذا يجرى، ولماذا يطارده.

والصفحة البيضاء بلا رسوم لا تعطي شيئاً غير الفراغ، ومن ذلك فإن الصورة تترجم للطفل عالمه الحقيقي المحسوس الذي يعيشه، وينمي خياله وإدراكه، ويجعله يحاكي هذه الرسوم بنفسه. إن العمل الأدبي الموجه للطفل بلا رسوم ناقص لا يكتمل بغير الصورة المعبرة عن هذا العمل، وهي ليست إضافة يمكن التخلي عنها لكنها ضرورة لأنها تثقف الطفل وتنمي خياله وإدراكه، وتجعله يحس الجمال ويدربه على التلقى الجمالي والاستمتاع به.

وكما ذكرنا فإن التعرف على احتياجات الطفل الفنية، ومحاولة إشباعها في الكتب الموجهة إليه، هي إشباع لميول الأطفال ورغباتهم وتنمية لعقولهم وتعميق لإحساسهم بالجمال. إن الصورة الملونة المشرقة تمثل منطقة جذب نفسى ووجدانى للطفل للدخول إلى عالم الكتاب، وغلاف الكتاب يقود الطفل إلى داخله أو ينفره منه.

واستخدام الفنان وفهمه لاحتياجات الطفل الفنية- في سنوات عمره المختلفة يمثل المدخل الحقيقي لإقناع الصغير بما يقدمه له.

ملاحظة أخيرة..تتعلق بعلاقة الرسوم بالمرحلة العمرية المختلفة، حيث تمثل الرسوم في المراحل الأولى مساحة أكبر من الكلمات وكلما صعدنا في مراحل القراءة، توزعت أو تقلصت مساحة الصورة وزادت مساحة الكلمات وهنا نترك للقارئ الصغير حرية التخيل، والمتعة فيما يقرؤه.

ثم ماذا!

ليس هذا تساؤلاً.. لكنه في تصوري دعم لدعوة الزحف الجماعي والشعراء، أتمنى لو يستمرون في الاستجابة له، لكي يظل وجه الحضارة العربية مشرقاً في لغة عربية سليمة.. وفي طفل سوف يحكم العالم لا محالة.
فقد قيل إن يوليوس قيصر قال لولده وهو يداعبه: إنني أحكم العالم.. وأمك تحكمني وأنت تحكم أمك..

إذن فأنت تحكم العالم.!

إن هذا الحاكم الصغير . العنيد . يتطلب منا الاهتمام به وترويض عناده عن طريق الشعر والخيال.. فنجمع في شخصيته بين التنقيف والإمتاع..وغرس الحس اللغوي السليم وحثه على تقبل الحياة.. ودفعه إلى الاجتهاد والعمل والإنتاج.. وتعرّفه على تاريخه وحاضره وتشجيعه على صنع مستقبله اعتماداً على رؤيته الخاصة.
وقد رأينا منذ بدأنا رحلتنا.. كيف نظر القدماء إلى الطفل على أنه رجلٌ . صغير السن . ومن غمسوه في بحر المعرفة والمتعة معاً.. في قسوة أحياناً.. وفي حنان أحياناً أخرى.. ولهذا نشأت أجيال العباقرة ومدوا العالم بما يستمتع به من التقدم والازدهار.

ثم رأينا كيف نظر المحدثون إلى الطفل.. على أنه كائن مدللٌ وهو في تصورهم لا

يتحمل أكبر من طاقته مهما كان هذا القدر الذي يتحمله.. وساد هذا المفهوم..
فخشينا على أطفالنا.. واستمر هذا الخوف حتى انقلب في نفوسنا عجزاً وبعداً عن
حقيقة شخصية الطفل..

ثم ها هم شعراء اليوم . لو أفاقوا وقَدروا الموقف . يستطيعون أن يعدلوا الموازين،
ويشقوا الطريق الصخرية إلى وجدان وعقل الطفل. بما يملكون من قدرات عصرية
.. وفهم وذكاء وقيم فنية تعينهم على تحمل هذه المسؤولية.

وإذا كانت القصة قد سبقت الشعر في هذا المجال.. فما أحرانا اليوم أن نعقد
مصالحة مع الطفل ونقدم له تراثه . شعراً . وواقعه أيضاً . شعراً.. فيقترب وجدانه
من وجدان أجداده.. ونعيده إلى صواب المعرفة والحب أيضاً.. حب الشعر ولغته
وحب تاريخه وأمجاده.

* * *

وإذا رأى القارئ . أو الناقد . أن هذه المحاولة قد أصابها بعض القصور.. فأني
أعتقد أنها قد وضعت.. بيدنا على بعض الحقائق التي قد يختلف عليها الكثيرون
لكن.. يثبتها الواقع والتاريخ.. ومن هذه الحقائق على سبيل المثال:
* أن الطفل في حضارة مصر القديمة كان يُنظر إليه على أنه عضو عامل في
المجتمع.. أي أنه له حقوقه من العلم والتأديب والتهديب.. وعليه واجب المشاركة
ولهذا لم يعد لنا . بعد . أن نعجب حينما نجد حكماً وفلاسفة ومفكرين صغاراً لم

يبلغوا سن الرشد لكنهم ينطقون بما ينطق عنه الكبار .

* أن العرب كذلك أمة قدّرت أطفالها . منذ فطامهم . وأن اللغة التي كانوا يتداولونها في الحديث اليومي هي نفسها اللغة التي يروون بها أدبهم..ولهذا دخل الطفل مجال الشعر والأدب والمجتمع.. مشاركًا منذ نعومة أظفاره . دون أن يشعر بصعوبة أو عنق . وهذه ميزة الحضارة العربية.. حتى أن بعض الأطفال . كذلك . نطقوا

بالشعر والحكمة وهم صغار .. وحكموا وأقاموا العدل في سن الصبا.

* أن ما تواضع عليه . النقاد وأسموه (شعرَ الحيوان) لم يكن مستحدثًا.. لكنه وجد منذ قرون طويلة لدى مصر القديمة.. ولدى العرب قبل أن نعرف كليلة ودمنة وإيسوب وقبل أن يعرف العالم الغربي . بالتالي . هذا الفن.. ثم ها هو يعود مرة أخرى إلى مصر ممثلًا في أشعار محمد عثمان جلال.. وأحمد شوقي ومن نحا نحوهما.

* أن الشعر التعليمي لا يصيبه (التقليد أو القدم) لأنه فن خالد مثل الأهرام.. كتبه المصري القديم وحضارات العالم الأخرى والعرب كذلك.. وهو يمثل في أدبنا المعاصر ركنًا أساسيًا كذلك وحقيقة واقعة مهما اختلفنا عليها.

* أن من العدل أن يُعطي كل ذي حق حقه.. في أي فترة من فترات الزمان ولهذا فمن الخطأ أن ينسب مثلًا إلى أحمد شوقي ريادته لشعر الأطفال أو إلى الطهطاوي وحده . إدخال أدب الأطفال المدارس.. أو أن الأدب المكتوب لطفال لم يوجد إلا

في العشرينات من هذا القرن.. إلى نهاية هذه الأحكام الخاطئة المطلقة التي تزيّف كثيراً من حقائق التاريخ.. وحسبنا في هذه الدراسة المتواضعة محاولة تعديل بعض هذه الموازين المقلوبة.

* وأولاً وأخيراً وكل يوم.. لا غناء عن الشعر.. ولا غناء للشعراء عن الكتابة للأطفال ولهذا فأنا تتملكني حماسة في دعوة أصدقائي الشعراء أن نحتكم إلى كل هذه الحقائق ونتصافر في عمل (ديوان الطفل العربي) على أن يكون ذا شقين:
1. شق نجمع فيه نماذج من التراث . ماضيه وحاضره . مع شروح بسيطة على أن يختار بعناية ودقة.. وبه تعريف للشاعر صاحب القصيدة ومناسبة القصيدة إن وجدت..

2. وشق حديث مؤلف خصيصاً.. تتسع فيه الرؤية.. والرقعة الفنية على مستوى القصيدة أو الألوان الأخرى للإبداع..
وأعتقد . صادقاً . أن تجربتي في الكتابة للأطفال شعرا تؤكد نكاء هذا المخلوق الذي في داخله يرفض التذليل.. ويرفض تلك النماذج النظميّة الجافة التي يتلقاها في قاعات الدرس.. وينظم معظمها (زبائنُ التأليف) في وزارة التربية والتعليم.. وهذه قضية أن الألوان لحسمها.. والتخلص من شوائبها.. فمصر لديها شعراؤها الذين

يمكنهم أن يعطوا بلا حدود.. من أجل مستقبلها.. وليس كل عامل في مجال التربية شاعرًا بالقطع.. وكفانا صمًا على مثل هذه المسلمات التي أعتقد أنها تدهورت بعقول صغارنا كثيرًا..

ولو كلف أحد هؤلاء الناظرين نفسه بالنظر والتأمل في دواوين الشعراء المعاصرين . منذ شوقي حتى الآن . لعثر على النماذج التي ترفع مستوى ما يقدم.. والتي تضيف إلى عقلية الصغير .. وتجعله يقترب حسًا ووجدانًا من فن العربية الأول (الشعر)!

إنها دعوة أرجو أن تجد صداها لدى كل من يشعر بالمسئولية الأدبية والاجتماعية أمام الأجيال القادمة التي سوف تحكم العالم . لا محالة.

وبعد

فإذا كانت هذه الرحلة . على طولها . قد تصيبها بين الحين والآخر بعض المعوقات أو أنها تشكو الخور والعنت من مواصلة اللهاث.. فإنني لا أملك إلا أن ألتمس العذر لكل ما وقعت فيه من حفر أو عثرات.. فهي مجرد محاولة.. ووضع علامات وإشارات ودعوة حميمة من القلب والعقل في هذا الموضوع..

والمحاولة بلا شك تحتمل كثيرًا من الخطأ.. وقليلًا من الصواب!!

والله الموفق،

أهم المراجع

- في موكب الشمس . د. أحمد بدوي، لجنة التأليف .1950.
- التربية والتعليم في مصر القديمة . د. عبد العزيز صالح،
الدار القومية 1966.
- في الأدب المصري القديم . أحمد عبد الحمدي يوسف،
دار الكرنك 1962.
- الحكم والأمثال عند المصريين القدماء . محرم كمال،
المكتبة الثقافية 1962.
- الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين . فكري بطرس،
دار المعارف 1983.
- أساطير العالم القديم: صمويل نوح كريم ، ت: أحمد عبد الحميد يوسف،
الهيئة العامة للكتاب 1974.
- من ألواح سومر صمويل نوح كريم ت: طه باقر، مؤسسة فرانكلين.
- إيسوب . أ. د. ونيتل ت: د. مختار الوكيل (الألف كتاب) 1956 .
- مختارات من الشعر الفارسي ت: د. محمد غنيمي هلال،الدار القومية
1965.
- الأغاني . للأصفهاني، دار الشعب.
- الشعر الشعبي العربي . د. حسين نصار، م. ثقافية 1962.

- التربية في الإسلام . د. أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف 1968.
- لعب العرب . أحمد تيمور باشا، نهضة مصر 1977.
- الفتوة عند العرب . عمر الدسوقي، نهضة مصر .
- كلية ودمنة . ابن المقفع، دار الشروق بيروت 1973.
- الشوقيات ح 4 . أحمد شوقي، المكتبة التجارية 1970.
- الحكاية على لسان الحيوان عند شوقي . د. سعد ظلام،
دار التراث العربي 1982.
- العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ . محمد عثمان جلال . تحقيق عامر ب
حيري، هيئة الكتاب 1978.
- شعري . محمود أبو الوفا، مطبعة الأوقاف 1973.
- أدب الأطفال . هادي نعمان الهيتي، وزارة الإعلام العراقية 1977.
- دواوين الأطفال . محمد الهراوي، لجنة التأليف والترجمة . دار الكتب المصرية
. 1922 . 1929 .
- الطفل يستعد للقراءة . د. محمد محمود رضوان، دار المعارف 1973.
- مقدمة ابن خلدون، مطبعة التقدم 1329هـ.
- رسائل الآباء إلى الأبناء . إيفان جونس ترجمة لطفي الخوري،
النهضة بغداد 1962.
- تمهيد لفن الموسيقى . ماكس بنشار ترجمة محمد رشاد، نهضة مصر

1973

- معجم شعراء الطفولة . أحمد فضل شبلول . دار المعراج الدولية 1998.
- أدب الأطفال في البدء كانت الأنشودة . د. أنس داود،
دار المعارف 1993.
- رواد الطفل العربي . د. أحمد زلط . دار الأرقم 1993.
- دواوين الشعراء الذين وردت أسماؤهم في الدراسة.

قائمة المحتويات

الموضوع

- مدخل عام إلى أدب الأطفال
 - أدبان أم أدب واحد
 - الطباعة وأدب الصغار
 - أهداف أدب الأطفال
 - الطفل والأدب
 - سلوك الأطفال في سن ما قبل القراءة
 - مراحل ما بعد القراءة
- الطفل والشعر
- الطفل - الشعر - الموسيقى
- شعر الأطفال في مصر القديمة
 - التربية والتعليم في مصر القديمة
 - الأدب في المرحلة الجماعية
 - الشعر التعليمي
 - الشعر الخالص
- شعر الأطفال في التراث العربي
 - أ- شعر ترقيص الأطفال.
 - ب- أغاني الألعاب عند العرب.
 - ت- الحداء.
 - ث- وصايا الآباء للأبناء.
- الأطفال والشعر المعاصر:

- أدب الأطفال المعاصر.
- شعر الحيوان.
- محمد عثمان جلال.
- أحمد شوقي.
- عبدالله فريج.
- محمد الهراوى.
- كامل كيلانى.
- إبراهيم العرب.
- محاولات حديثة جدا من شعر الأطفال:
- محاولات سورية.
- محاولات عراقية.
- التجربة المصرية.
- تجربتى في شعر الأطفال .. أحمد سويلم
- تبسيط التراث شعرا للأطفال (الأمثال الشعبية نموذجاً)
- السير الشعبية وأدب الأطفال
- السيرة الشعبية في عالم الصغار.
- مثال تطبيقية سيرة عنتره بن شداد
- رسوم الأطفال ترف أم ضرورة؟
- ثم ماذا؟؟؟
- المراجع